

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

# دراسات إسلامية

سلسلة تصدر

في منتصف كل شهر عربى

العدد (١٤٨)



## الإصلاح الدينى فى القرن العشرين «الإمام المرازى نموذجاً»

أ.د. محمد عمارة

القاهرة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية

سلسلة تصدر

في منتصف كل شهر عربى

# الإصلاح الدينى فى القرن العشرين «الإمام المراغى نموذجاً»

أ.د. محمد عمارة

العدد (١٤٨)

القاهرة

شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٧م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ما ينشر في هذه السلسلة يعبر عن رأى كاتبه  
ولا يعبر بالضرورة عن رأى المجلس

بسم الله الرحمن الرحيم

## — ١ —

### بطاقة حياة

- الشيخ المراغى .. هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغى [ ١٢٩٨ هـ - ١٣٦٤ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٥ م ] — نسبة إلى " مزاعة " ، مركز " جرجا " محافظة " سوهاج " بصعيد مصر ..
- ولد في ٧ ربيع الثانى سنة ١٢٩٨ هـ / ٩ مارس سنة ١٨٨١ م ..
- وقد وجهه والده — الذى كان على قدر من العلم والثقافة — إلى حفظ القرآن الكريم .. ولفقه نصيباً من المعارف الدينية العامة ..
- ولنجابته بعث به والده لطلب العلم فى الأزهر الشريف — بالقاهرة —
- فتلقى العلم على كوكبة من علمائه .. وتأثر بعلماء التيار المجدد — ومنهم شيخه الشاب على الصالحى .. الذى درس المراغى عليه علوم العربية ، وتأثر بأسلوبه فى البيان والتعبير ..
- فلما كان اتصاله بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [ ١٢٦٦ هـ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م ] كانت النقطة النوعية التى حددت مكانته العلمية ومستقبله فى مدرسة الإحياء والتجديد والإصلاح .. فلقد تتلمذ على محاضرات الأستاذ الإمام فى التفسير للقرآن الكريم .. وفى التوحيد وتنقية العقائد الإسلامية من " شغب " المتكلمين القدماء .. وفى البلاغة التى

وصلت العربية الحديثة بعصر الازدهار ، متخطية عصور الجمود والركاكة والاحتطاط ..

— وفى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ — ٢٧ مايو ١٩٠٤م — تقدم الشيخ المراغى لامتحان " العالمية " وهو فى الرابعة والعشرين من عمره — وكان أصغر أقرانه سناً — وكان يومئذ مريضاً بالحمى ، فقال شهادة " العالمية " بتقدير " الدرجة الثانية " — مثل أستاذة محمد عبده ! .. وذلك لأن الطلاب السالكين طريق التجديد لم يكونوا — فى ذلك الحين — يحظون بالرضا من قبل شيوخ الأزهر ، الذين كانت تغلب عليهم المحافظة والتقليد ! ..

— وكما كان محمد عبده أنجب تلاميذ جمال الدين الأفغانى [ ١٢٥٤ — ١٣١٤ هـ / ١٨٣٨ — ١٨٩٨م ] موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام — وكان المهندس الأول لفكر مدرسة الإحياء والتجديد ، وأبرز زعماء الإصلاح الدينى .. كذلك كان الشيخ المراغى أنجب تلاميذ الأستاذ الإمام ، وحامل لواء مشروع الإصلاح الدينى الذى صاغته هذه المدرسة ، لتخرج به الأمة الإسلامية من بين شقى رضى وهى " التخلف الموروث " و " التغريب " الزاحف على العقلاء المسلم فى ركاب الاستعمار الغربى ، والذى يمتد فى الفراغ الثقافى الذى صنعه الجمود والتفكير ..

— ولقد عمل الشيخ المراغى — عقب تخرجه — بالتدريس فى الأزهر بضعة أشهر ، لفت فيها الأنظار ، حتى لقد التفت حوله حشود من الطلاب ..



— وبعد عام من تخرجه ، رشحه الشيخ محمد عبده ليعمل قاضياً بالسودان — الذى كان تحت الحكم الثانى : الإنجليزى والمصرى .. ولقد كتب عن لقائه بأستاذة الإمام محمد عبده لوداعه ليلة سفره إلى السودان سطوراً تقص عن نضجه العلمى المبكر وتشى بملامح عبقرية إسلامية فى طريقها إلى التألق والنبوغ .. كتب فقال : " ذهبت لوداع الشيخ محمد عبده ليلة سفرى إلى السودان لتولى قضاء مديرية دنقلة فى نوفمبر سنة ١٩٠٤م ، فسالنى :

— هل معك رفقاء السفر ؟

فقلت : نعم ، بعض كتب آنس إليها ، وأستديم بها اتصالى بالعلم .  
— فقال : أو معك كتاب الإحياء ( إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ؟ ) .

— فقلت : نعم .

— فقال : هذا الكتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفرأ طويلاً دون أن يكون رفيقه " .

ثم يستطرد الشيخ المراغى متحدثاً عن مكانة الإمام الغزالى فى فكره .. ومكانته من فلاسفة الإسلام فيقول :

" إذا ذكرت أسماء العلماء اتجه التفكير إلى ما امتازوا به من العلم وشعب المعرفة .

فإذا ذكر ابن سيرنا [ ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ]  
أو الفارابي [ ٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م ] ، خطر بالبال  
فيلسوف عظيم من فلاسفة الإسلام ..

وإذا ذكر ابن عربي [ ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ / ١١٦٥ - ١٢٤٠ م ]  
خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطرها .

وإذا ذكر البخاري [ ١٩٤ - ٢٥٦ هـ / ٨١٠ - ٨٧٠ م ] ومسلم  
[ ٢٠٦ - ٢٦٠ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٥ م ] وأحمد [ ١٦٤ - ٢٤١ هـ /  
٧٨٠ - ٨٥٥ م ] خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق  
والأمانة والدقة ومعرفة الرجال .

أما إذا ذكر الغزالي [ ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ - ١١١١ م ] ،  
فقد تشعبت النواحي ، ولم يخطر بالبال رجل واحد ، بل خطر بالبال  
رجال متعددون ، لكل واحد منهم قدرته وخطره . يخطر بالبال الغزالي  
الأصولي الحاذق الماهر ، والغزالي الفقيه الحر ، والغزالي المتكلم إمام  
السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العلم وخفيات  
الضمائر ، ومكنونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف الذي تاهض الفلسفة  
وكشف عما فيها من زخرف وزيف ، والغزالي المربي ، والغزالي  
الصوفي الزاهد .

وإن شئت فقل : إنه يخطر بالبال رجل هو ( دائرة معارف )  
عصره ، ورجل متعطش إلى معرفة كل شئ عنهم إلى جميع فروع  
المعرفة .. (١) .

هكذا كتب الشيخ المراغى عن الفكر الإسلامى وأعلام هذا الفكر —  
فى هذه السن المبكرة — هذه السطور التى تحدد مكانته من العلم الإسلامى  
.. ومن تقدير العلماء ..

— وفى السودان ، عمل الشيخ المراغى قاضياً لمديرية " دنقلة " ..  
ثم انتقل قاضياً " للخرطوم " .. واتصلت — من السودان — مراسلاته مع  
شيخه الأستاذ الإمام ، الذى ظل المراغى وفياً له ولمذهبه فى الإصلاح  
الدينى ، حتى لقد أرجع إليه كل ما قدم فى هذا الميدان .. فقال عنه — يوم  
عودته المظفرة إلى مشيخة الأزهر — فى ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ —  
يونيه سنة ١٩٣٥ م : " إنه هو المصباح الذى اهتدى به " .. ووصف  
منزله بأنه " كان محط الرغائب ، وأمل كل طالب " .

— وفى سنة ١٣٢٥ هـ ، سنة ١٩٠٧ م استقال الشيخ المراغى من  
منصب القاضى بالسودان — لخلاف بينه وبين قاضى القضاة والسكرتير  
القضائى — مستر كارتر — وهو إنجليزى — حول اختيار المفتشين  
بالمحاكم الشرعية السودانية .. وحول التمييز الإنجليزى بين القضاة  
الإنجليز وبين القضاة المصريين .. فلقد كان مرتب القاضى الإنجليزى

---

(١) على عبد العظيم [مشيخة الأزهر] ج ٢ ، ص ١٣٠ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ —  
سنة ١٩٧٩ م .



خمسون جنيها ، بينما كان مرتب القاضي المصري أربعة عشر جنيها ..  
فلما قرر المفتش القضائي الإنجليزي للقضاة المصريين " علاوة " قدرها  
سنة جنيهاً ، رفضها الشيخ المراغي .. ودار بينه وبين المفتش  
الإنجليزي هذا الحوار :

— كارتر : إني لأعجب لقاض شرعي يرفض سنة جنيهاً علاوة  
في الشهر !

— الشيخ المراغي : إن عجبى مثل عجبك ! من أن القاضي  
الإنجليزي يتناول ٥٠ جنيها ، بينما تستكثر على القاضي الشرعي ٢٠  
جنيها ! .

وطلب الشيخ إجازة ثلاثة أشهر .. وعاد إلى مصر .. واستقال ..  
ورفض العودة إلى السودان رغم إلحاح السكرتير الإنجليزي عليه في  
العودة ..

— وفي غرة شعبان سنة ١٣٢٥هـ — ٩ سبتمبر سنة ١٩٠٧م —  
عين الشيخ المراغي مفتشاً للدروس الدينية بدسوان عموم الأوقاف  
( نظارة الأوقاف ) .. ولقد جمع بين هذه الوظيفة وبين العمل الذي يهواه ،  
وهو التدريس بالجامع الأزهر ..

— وإبان عمله مفتشاً للدروس الدينية بنظارة الأوقاف ، صاحب  
الخدوي عباس حلمي الثاني [ ١٢٩١ — ١٣٦٣هـ / ١٨٧٤ — ١٩٤٤م ]  
لصلاة الجمعة بأحد المساجد .. وكان الخطيب كفيفاً وهو العلامة الشيخ  
يوسف الدجوي [ ١٢٨٧ — ١٣٦٥هـ / ١٨٧٠ — ١٩٤٦م ] فاستتكف  
الخدوي أن يكون الخطيب والإمام أعشى ! .. فأجابه الشيخ المراغي :

— إن الإسلام لا يشترط أن يكون الإمام أعشى أو بصيراً .. فخرج الخديوى من المسجد غاضباً ! ..

— وفى سنة ١٣٢٦هـ ، سنة ١٩٠٨م طلب " سلاطين باشا " [ ١٨٥٧ — ١٩٣٢م ] — وكيل حكومة السودان بمصر — من الشيخ المراعى أن يعود إلى السودان قاضياً للقضاة .. فقال له الشيخ :  
— إن حكومة السودان — الإنجليزية — أثبتت على العام الماضى وظيفة مفتش بالمحاكم الشرعية ، فكيف ترضى اليوم أن أكون قاضياً للقضاة !؟ ..

فأجاب " سلاطين باشا " :

إن الحكومة اقتنعت اليوم بما لم تكن تقتنع به ، وإنى أريد أن أعرف الشروط التى تجعلها أساساً لقبول هذا المنصب الخطير . ؟  
فاشتراط الشيخ المراعى أن يصدر مرسوم تعيينه من الخديوى — حاكم مصر المسلم — وليس من الإنجليز — لما فى ذلك من دلالة سياسية فى علاقة السودان بمصر — ودلالات شرعية ، تؤكد على اختصاص الحاكم المسلم بالولايات الشرعية فى بلاد الإسلام ..

ولقد أصر على شرطه هذا ، حتى استجابت له الحكومة الإنجليزية فصدر قرار تعيينه قاضياً للقضاة السودان فى ٣ رجب سنة ١٣٢٦هـ — أول أغسطس سنة ١٩٠٨م من الخديوى — وليس من الإنجليز ..

— وفى السودان أصر الشيخ المزاعى على أن يختار هو — وليس السكرتير الإنجليزى — المذاهب والآراء والاجتهادات الفقهية التى يحكم بموجبها القضاة .. وكانت تلك بدايات إنجازاته فى إصلاح القضاء

الشرعي بالسودان .. وفيه كان أستاذاً ومعلماً وسرعاً للقضاة .. كما عمل على تكوين جيل من القضاة السودانيين ، فأشرف على القسم الشرعي بكلية ' غوردون ' وزوده بأساتذة من العلماء المصريين الممتازين — من الأزهر ودار العلوم — فكان — بذلك — المؤسس الحقيقي للقضاء الشرعي السوداني الحديث ..

— وفي السودان تعلم الشيخ المراغي اللغة الإنجليزية ..  
— وإبان ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال الإنجليزي ، طلباً للاستقلال ، سنة ١٣٣٧ هـ ، سنة ١٩١٩ م ، قائد الشيخ المراغي المصريين بالسودان في حملة لمناصرة الثورة الوطنية ، وإغاثة ضحاياها .. فأصدروا نشرة عنوانها : ' اكتاب لمنكوبي الثورة بمصر ' كانت بمثابة صوت الثورة المصرية في السودان ، وصوت التضامن السوداني مع الثورة المصرية ..

ولقد اتهمه الإنجليز " بإعلان الثورة في السودان " .. وطلب منه المستر " دن " — نائب الحاكم العام للسودان — إيقاف هذا النشاط .. فرفض .. فلما قال له المستر " دن " :  
— إني أكرمك كرئيس ..

رد عليه الشيخ — غاضباً — :  
— كنت أفهم أنك تعلم واجبك ! إنه ليس لي رئيس هنا ، فإن الحاكم العام معين بأمر ملكي ، وهو الحاكم السياسي ، وأنا معين بأمر ملكي ، وأنا قاضي القضاة ، ولا إشراف لأحد منا على الآخر ..  
ولقد علق الحاكم العام على موقفه الشيخ المراغي هذا بقوله :

— لقد كنت نالإنجيز — هنا وفي لندن — : إن الشيخ المراغى لا يمكن مناقشته أو الثقب عليه ، ومن الصعب إقناعه .. إن الشيخ المراغى يُعد من دهاة العالم !

ولقد كتبت صحيفة " القيمس " — الإنجوزية — بأن ذلك تقول :  
" ابعثوا هذا الرجل ، فإنه أخطر على بلادنا وحياتنا من ويلات الحرب ! " .  
— ولقد مضى الشيخ المراغى في قيادة النشيط الوطنى والثورى المناصر لثورة سنة ١٩١٩م .. فقاد — بالسودان — مظاهرة كبيرة .. وأخذ يجمع التوقيعات — من المصريين والسودانيين — تأييدا لزعامة سعد زغلول باشا [ ١٢٧٣ — ١٣٤٦هـ / ١٨٥٧ — ١٩٢٧م ] للثورة ، وتوكيلا له ولصحبه فى المصالحة بالاستقلال ..

— ولقد تصاعد غضب الإنجليز على الشيخ المراغى .. فاقترح البعض سجنه .. واقترح البعض اعتقاله ونفيه .. ولكن الحكام العام للسودان خشي غضبة الشعب السودانى .. فقرر منحه إجازة عاجلة غير محدودة .. فعاد إلى مصر .. وانتهى عمله بالسودان سنة ١٩١٩م ..

— ولقد كانت شجاعة الشيخ المراغى فى الحق نموذجاً يعيد إلى الذكرة المثل العليا التى تجددت فى التاريخ العظيم لعظماء علماء الإسلام ..

فإن توابه للقضاء — بمصر — حاول أحد الأثرياء التماس على ضميره القضائى ، لقاء مبالغ مالية ضخمة ، يسيل لها العباب ! .. فأبى ضميره مخالفة الحق والعدل .. فاستأجر هذا الثرى محرراً لقتل الشيخ ! .. فألقى عليه ماء اتار .. لكن الله لطف . فأصابته عنقه وأجزاء من جسمه

.. ولم تكن ... مع ذلك - لعائلة الشيخ قناة - عرفت هذه القضية باسم قضية هنري سكاكيني ..

- ولقد كانت الحكومات المصرية - مضموماً للاستعمار الإنجليزي - قد حركت على مشيخة الأزهر التدخل في الديارات العامة خصوصاً ما يمس منها مصالح الدولة المستعمرة .. لكن الشيخ المراغي رفض هذا الموضوع ..

وعلى حين صمم رؤساء الوزارات المصرية ، وجمهور السابنة والنخبة السياسية وزعماء الأحزاب عن التصدي للمخطط الصهيوني المتخالف مع الاستعمار الإنجليزي لاغتصاب أرض فلسطين وسكان المسلمين في القدس الشريف .. جهر الشيخ المراغي - من موقعه كشيخ للأزهر سنة ١٩٢٩م بالرأي الإسلامي والوطني في هذا المخطط الاستعماري الصهيوني .. فكانت سابقة تحدث عنها الشيخ رشيد رضا [ ١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م ] - إبان حملته على المخطط الصهيوني - فقال :-

هذه أول مرة يصرح فيها شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية على مصر بالاعتطف على المسلمين في أثناء ثورة سياسية<sup>(١)</sup> بينهم وبين شعب أجنبي تؤيده الدولة البريطانية ، بعد أن أجرت السلطة المصرية السنة علماء الأزهر - [ قيدت أسنتهم ! ] - وأجندتهم ، وحرمت عليهم ما هو مباح لجميع المصريين من إبداء رأيهم في الأمور السياسية ، وقد

(١) هي ثورة العراق - في فلسطين - سنة ١٩٢٩م .



— وإبان الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ م — ١٩٤٥ م] أعلن الشيخ  
المراغي كلمته المدوية .. في خطبة الجمعة .. من قسوق مطير مسجد  
الرفاعي — فقال :

— " نسال الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل " ! ..  
وكان بذلك يعارضن سعي إنجلترا لإدخال مصر مع الحلفاء في الحرب ضد  
المحور ..

ولقد أحدثت كلماته هذه هزة سياسية كبرى في الدوائر الاستعمارية  
الإنجليزية .. التي ضغطت على رئيس الوزراء المصري كي يطلب من  
شيخ الأزهر العدول عن موقفه .. فاتصل رئيس الوزراء بالشيخ .. وأخس  
الشيخ بشرة التهديد في لهجته .. فانتفض الشيخ .. وقال لرئيس الوزراء :

— " مثلك يهدد شيخ الأزهر ! " وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه  
بين المسلمين من رئيس الحكومة . ولو شئت لارتقيت مطير مسجد  
الحسين وأثرت عليك الرأي العام ، ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور  
بين عامة الشعب " ! (١) .

— وكما كان الإمام محمد عبده مثلاً أعلى في شيوخ العلم والعلماء  
أمام الحكام .. يقول عبد الحديري عياض عطلي الثاني : " إنه يدخل على  
كفرعون " ! .. ويداعبه أستاذة جمال الدين الأفغاني ، فيقول له : " قل لسي  
.. إيل أي ملك من الملوك أنت " ! .. كذلك كان شيوخ المراغي أمام  
الحكام والكبراء ..

---

(١) [مشيخة الأزهر] ج ٠ ١ ، ص ٣٩

زاره يوماً حاكم الأقاليم ببلدته " المراغة " فحياء الشيخ التحية المناسبة .. ثم دخل عليه قارئ للقرآن ، فحياء واحتفى به أكثر من حفاظته بالحاكم ! .. فلما انصرف الحاكم ، سئل الشيخ عن علة هذا التفريق في المعاملة ؟ .. فقال :

— " إن الحاكم قد أقبل وفي رأسه أنه حاكم ! " ..  
وزاره يوماً — في مكتبه — أحد رؤساء الوزارة ، فلما انصرف ودعه الشيخ إلى باب الغرفة فقط ، فلما سئل : لماذا لم ترافق رئيس الوزراء إلى خارج المكتب ؟ .. قال :

— " في هذا الكفاية ! " ..

وفي إحدى الحفلات الرسمية ، وبحضور الملك فاروق الأول [ ١٣٣٨ - ١٣٨٤ هـ / ١٩٢٠ - ١٩٦٥ م ] لاحظ الشيخ المراغي أن أماكن العلماء قد حددت خلف مقاعد بعض أعضاء مجلس النواب والشيخ .. فغضب الشيخ ، وأشار إلى رئيس الديوان الملكي فحضر إليه ، فقال له :

— إذا لم يتغير هذا النظام قلن أبقى هنا ! ..

فأخبر رئيس الديوان الملك بالأمر ، فقال له الملك :

— أخبر الشيخ المراغي أنني مستعد لتغيير هذا الوضع فيما بعد ، وهو يتق بوعدي .

فلما أخبر رئيس الديوان الشيخ بما قاله الملك ، قال له :

— إنني واثق بوعده ، ولكنني لا أستطيع اليقضاء إلا إذا عدل هذا النظام ، والحل سهل ، فمجلس الوزراء موجود في الحجرة الملكية ..

وتم إصدار القرار في المجلس نفسه ، وأعيد وضع العلماء في مقدمة المجلس ! ..

— ومع هذا الصوخ — في الحق — والكبرياء المشروح أمام المستكبرين وأعداء الحق .. كان الشيخ المراغي متواضعا .. يضرب المثل بنفسه في المحاسبة وعند الذات ..  
سأله أحد الصحفيين :

— ما هي عيوبنا ؟

— فقال الشيخ : إنها كثيرة . ولكن لماذا تسألني عن عيوب الناس ؟  
سألني عن عيوبى أنا فأجبت وأنا في هذه السن المتقدمة [ سنة ١٩٤١ م ] —  
وفيما أنا عليه من ضعف الصحة — أقبل عملاً من الأعمال العامة ، وكان يجب أن أتركه لشياب يستطيع تحمل أعبائه أكثر مما أستطيع أنا وهذا عهد كثيرون لا يتركون أملاكهم لمن هم أصح منهم ، ولو أن كل واحد منا ترك مكانه لمن هو أجدر به لأصبحنا في خير وفي خير عظيم . أما بقية عيوبى فإن الله يعرفها ، وأسأله تعالى أن يغفرها لى ! " .

— وقيل وفاته بإيام ، أصيب "بأنفلونزا" خفيفة " فدخل مستشفى المواييد — بالإسكندرية — في رمضان سنة ١٣٦٤هـ — أغسطس سنة ١٩٤٥ م .

ومع العلاج . عكف على تفسير سورة القدر ، ليلقى عنها حديثاً فى ليلة القدر .. وكانت المراجعة تشق عليه من الجهد .. وعطش منه أن يسفرح .. فرفض ، وعكف على كتابة التفسير ..

ولكن زيارة الملك فاروق له - بالمستشفى - قد أحدثت انقلاباً في حالته الصحية .. كان الملك قد طلق زوجته الملكة فريدة . فطلب من الشيخ المراعى أن يفتي بتحريم زواجها من أحد غوره ! .. فرفض الشيخ الاستجابة لطلب الملك .. وطبق الملك ذراعاً بهذا الرفض .. واحتدم بينهما النقاش .. فقال المراعى للملك :

— أما الطلاق فلا أرضاه ، ولما التحريم فلا أمكنه .

ثم صاح بأعلى صوته :

— " إن المراعى لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله " .

وعقب هذا اللقاء العاصف ساءت صحة الشيخ .. فانتقل إلى رحاب ربه - شهيداً من شهداء الحق - في ١٤ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ - ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ م - .. عليه رحمة الله ..

— ومع أن الشيخ المراعى قد اشتهر بصناعة الإصلاح أكثر مما اشتهر بصناعة التأليف .. وأنجز في ميدان تربية العلماء أعظم مما أنجز في تطوير الكتب .. إلا أنه قد ترك من الكتب والرسائل والمقالات والأحاديث والأحكام القضائية ومذكرات مشاريع الإصلاح ما يتظر الجمع في [ أعماله الكاملة ] التي نشرها فكر الاجتهاد والتجديد والإصلاح الدينى على نحو أكيد ..

لقد خلف لنا - غير المقالات والأحاديث والأحكام القضائية ومذكرات المشاريع الإصلاحية - :

١ - ( الأولياء والمهجورون ) - وهو بحث فقهي ، نال به عضوية هيئة كبار العلماء ' - مخطوط بمكتبة الأزهر - .

- ٢- ( تفسير جزء تبارك ) جعله استدلالاً لتفسير استدلاله الشيخ محمد عبيده لتفسير جزء عم وهو مخطوط .
- ٣- بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم - طبع بمطبعة الرغائب سنة ١٩٣٦ م .
- ٤- ( رسالة الزمالة الإنسانية ) - كتبها لمؤتمر الأديان - بلنسن سنة ١٩٣٦ م - وطبعت بمطبعة الرغائب سنة ١٩٣٦ م . ونشرت بمجلة الأزهر - عدد جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ - يوليو سنة ١٩٣٦ م .
- ٥- بحث في التشريع الإسلامي وأصول قانون الزواج - رقم ٢٥ سنة ١٩٢٩ م - طبعت بالقاهرة .
- ٦- مباحث لغوية بلاغية - كتبها أثناء تدريسه أكتب [ التحرير في الأصول ] - مخطوطة .
- ٧- الدروس الدينية - وهي تفسير لبعض السور والآيات القرآنية ألقاها في مناسبات عامة - وقد نشرت بمجلة الأزهر .. أو في كتيبات مستقلة ..
- ٨- مقالات وخطاب عديدة .. كتبت وألقيت في مناسبات مختلفة .. وجمعت منها في نهاية كتاب ( الشيخ المراغى بأفلام الكتاب ) . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧ م .. (١) .

(١) انظر في رقائق هذه الحياة [ مشيخة الأزهر ج ٢ ، ص ١١ - ٤٣ .



## فى الإصلاح القضائى والتشريعى

فى مصر .. وبعد عودة الشيخ المراغى إليها من السودان سنة ١٩١٩ م .. كان الإصلاح القضائى والتشريعى من أهم الميدانين التى أولاهما عنايته .. كما كان هذا الميدان استناداً لما قام به فى السودان .. مع التوسع والشمول الذى يقتضيه الواقع فى مصر ..

وفى هذا الميدان من ميادين الإصلاح — القضائى والتشريعى — مارس الشيخ المراغى العمل الإصلاحي من موقع " الخبير " .. فقد تولى — فى هذا الميدان — من المناصب الرفيعة :

١- رئيس النقش الشرعى بوزارة الحفانية — [ العدل ] — فى ٩ أكتوبر ١٩١٩ م — محرم ١٣٣٨ هـ ..

٢- ورئيس محكمة مصر الكلية فى ١٥ ذى القعدة ١٣٣٨ هـ — ٢١ يوليو ١٩٢٠ م ..

٣- وعضو المحكمة العليا الشرعية فى ١٧ جماد أول ١٣٣٩ هـ — ٢٧ يناير ١٩٢١ م ..

٤- ورئيس المحكمة العليا الشرعية فى ٢ جماد أول ١٣٤٢ هـ — ١١ ديسمبر ١٩٢٣ م ..

وإبان توليه لهذه المناصب القضائية — على استناد نحو عشر سنوات — امتدت إصلاحاته إلى ميادين التشريع والتفنين للغة الإسلامى .. ونطبق

دعوة أستاذ الإمام محمد عبده إلى الاستفادة — في التشريع والتقنين — من  
مجلس التراث الفقهي الإسلامي ، على اختلاف مذاهبه .. وليس فقط  
المذهب الحنفي ، كما كان الحال في الدولة العثمانية وولاياتها ومنها مصر ..  
ولقد قال الشيخ المراغي للجنة تنظيم الأحوال الشخصية — التي  
رأسها :—

ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان . وأنا  
لا يعوزني بعد ذلك أن أتاكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما  
وضعتم .

إن الشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد  
في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينقذنا  
في كل وقت ، وما يوافق رغائبنا وحاجتنا وتقدمنا في كل حين . ونحن  
في ذلك كله ملزمون لحدود شريعتنا .

ولكن فريقا من متأخري العلماء رأوا أن كل ما جاء في كتب الفقهاء  
من المتن والحواشي والآراء المصيبة والمخطئة كل ذلك من الدين ومن  
أصوله التي يجب أن نتمسك بها ولا نحيد عنها ، وهم مخطئون في هذا  
الفهم ، إذ أن من ينظر في كتب الشريعة الأصلية بعين البصر والحقق ،  
يجد من غير المقبول أن تضع قانونا أو كتابا أو ميثاقا في القرن الثاني  
عشر من الهجرة ثم نجد بعد ذلك فنطبق هذا القانون أو الميثاق  
١٣٤٥ هـ .

وإن من ينظر في أقوال الأئمة من مذهب أبي حنيفة وما وقع بينه وبين أصحابه محدث ، وزفر ، وأبي يوسف وبينهم هم ، يجد التجديد في الأحكام الشرعية مسوراً لنا ، ويجد بطلان الدوام لأحكام معينة ويقال لها حيث يتقن الدهر من الأمور البديهة .

ومعنى هذا أن المسائل الفقهية ما دامت غير قطعية فهي قابلة ، يحكم الشرع ، للتجديد والتغيير .<sup>(١)</sup>

هكذا رسم الشيخ مناهج الإصلاح والتجديد في التشريع والتقنين .. تم وضع المنهاج في الممارسة والتطبيق ..

ولقد كان صدور قانون الأحوال الشخصية في ذي القعدة ١٣٢٨ هـ - يوليو ١٩٢٠ م ، أول إنجاز من إنجازات الإصلاح التشريعي التي قادها الشيخ المراغي ووجيها وزعماها في هذا الميدان .

وتلاه تعديل قانون الطلاق - الذي جعل الطلاق الثلاث طقة واحدة - وتلاه إصلاح القوانين الحاكمة لعدة للزوجة التي غاب عنها زوجها ، والقانون الذي يجعل للحفيد - الذي مات والده قبل جده - ميراثاً في شركة جده .

وهكذا أخذت دعوة الإمام محمد عبده للإصلاح القضائي والتشريعي تعرف طريقها إلى التطبيق على يد أبرز تلاميذ الأستاذ الإمام وأنصارهم ..

الذي حمل علم الإصلاح الديني في القرن العشرين ..

— ولقد كان شعار الشيخ المراغي في احتضان مجمل تراث

المذاهب الفقهية الإسلامية .. والاختيار من بين اجتياذاتها .. وفتح باب

---

(١) المرجع السابق . ج ٢ ص ١٩ ، ٢٠ .

الاجتهاد في القضايا والمشكلات المستجدة .. وفي التمييز في الفتوى .. كان شعاره كلمة أساتذته الإمام محمد عبده : " العلم هو ما ينفعك وينفع الناس " .. ولقد قال المزاغى في هذه المعاني : " .. ومن المعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب هذا الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهذى إلى الحق في أكثر الأوقات . يجب أن يدرس الفقه دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها في الأدلة ، وأن تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها " .  
والنظر في الأحكام الاجتهادية يجعلها ملائمة للعصور  
والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة ، كما كان يفعل السلف من الفقهاء ..

وهناك أمور يجب أن يترفق الفقهاء فيها بالناس ، وأن يراعوا قواعد اليسر التي هي أخص صفات الإسلام ، ولا يوقعوهم في الحرج .. (١) .

ومع احتضان تراث المذاهب الفقهية الإسلامية المختلفة .. عمل الشيخ المزاغى على التقريب بين مذاهب الطوائف الإسلامية التي قسمت " مقالاتها الكلامية " جمهور الأمة الإسلامية .. فكان بذلك ، أول المصلحين الذين ارتادوا هذا الميدان في القرن العشرين ..

(١) المرجع السابق . ص ٢ ص ٢١ .

ففي المحادثات التي دارت بينه - كشيخ نازك - وبين  
الزعيم الإسماعيلي أغا خان [ ١٢٩٤ - ١٣٧٦ هـ - ١٨٧٧  
- ١٩٥٧ م ] - في ١١ فبراير ١٩٢٨ م - تم الاتفاق على تكوين  
هيئة للبحث الديني ، تستهدف :

- ١- تأكيد روابط الصداقة بين المسلمين في كافة أنحاء الأرض .
- ٢- إيجاد تضامن بين الهيئات التعليمية في البلاد الإسلامية يكون  
من ورائه نشر التحليم على وجه العموم ، ونشر الثقافة الإسلامية  
على وجه الخصوص .
- ٣- العمل على تبسيط قواعد الدين الإسلامي وتعاليمه .
- ٤- محاولة التوفيق بين المسلمين فيما اختلفت مذاهبهم  
وفرقهم .. (١) .

هكذا كان الإصلاح القضائي .. والتجديد الفقهي .. والتقنين  
لقواعد الفقه وأحكامه .. والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، أول  
المبادئ التي جاهد فيها الشيخ المراعي ، فأرسى قواعد الإصلاح  
الديني في القرن العشرين ، وهذه الإنجازات الإصلاحية - التي  
طبّقها بمنصر - مضافا إليها ما أنجزه قبلها في السودان ، قد مثلت  
المبادئ الأول من مبادئ الإصلاح الديني الذي دعا إليه وطبقه هذا  
الإمام العظيم ..

---

(١) المرجع السابق . ج ٢ ص ٢١ .



## إصلاح الأزهر الشريف

كان حلم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده — فلى حياته — وكانت مقاصده العظمى من وراء جهاده الفكرى — غير إصلاح مناهج الفكر والنظر .. وتوسيع أبواب الاجتهاد وميادينه .. وثباته علاقة الصداقة بين العلم والدين .. وبين الشرع والعقل والسنن الكونية والاجتماعية — .. كانت أحلامه ومقاصده : إصلاح المؤسسات التى تصنع العقل المسلم ، وتصوغ وجدان النخبة الإسلامية ، التى علق عليها الأمل فى قيادة الأمة على طريق الإقلاخ الحضارى ، وتحاور المأزق الذى وقعت فيه الأمة بسبب " التخلف الموروث " عن عصور التراجع الحضارى ، وبسبب " الهيمنة الغربية " التى تحرس هذا التخلف وهذه الأمراض الحضارية التى يعانى منها المسلمون . وكان فى مقدمة هذه المؤسسات التى جاهد محمد عبده

لإصلاحها :

١- الأزهر الشريف ..

٢- والمساجد ..

٣- والقضاء الشرعى ..

٤- والأوقاف ..

٥- والمدارس ..

وللمكانة المتميزة التي كان يحتلها الأزهر في العلم الديني —  
بمصر وعلى النطاق الإسلامي — بذل الشيخ محمد عبده في سبيل  
إصلاح الأزهر جهوداً كبيرة .. وتحمل في سبيل ذلك حراً ضرورياً  
شتمها عليه الخديوي عباس حلمي الثاني ، والتيار المحافظ وأهل  
الجمود والتقليد من شيوخ الأزهر .. ومن وراء هؤلاء جميعاً وقف  
الخبث الاستعماري الإنجليزي ، الذي أروع الشيخ محمد عبده موافقته  
على إصلاح الأزهر .. بينما سعى — في الحقيقة — إلى إفشال هذه  
الجهود الإصلاحية ، وذلك حتى يظل الفراغ الفكري — الذي يصتعه  
الجمود والتقليد — مفتوحة أبوابه أمام الغزو الفكري والتغريب ! ..

وحتى نعلم حاجة الأزهر — يومئذ — إلى الإصلاح ، يكفي أن  
نعلم أن الأزهر الذي بدأ حياته العلمية والتعليمية — قبل ألف عام —  
بتدريس كل العلوم المدنية والطبيعية — بما فيها الطب والتشريح ..  
وكل الفنون والآداب بما فيها الموسيقى — إلى جانب الشريعة  
وعلومها ، والعربية وعلومها وآدابها .. إن هذا الأزهر قد أصابته  
الغربة والاضطراب عن أغلب هذه العلوم والفنون .. وحتى علوم  
الشريعة والعربية ، فإنه قد وقف فيها عند منصفات عصر التراجع  
الحضاري المنفرة في الإبداع ، والغنى في الشخصيات والشهيميات  
والمكائات اللفظية والمحسنات الشكلية التي تليق بالفرض على  
حساب الجواهر وبالشكل على حساب المضمون ..

وفي الجوار الذي يحكيه الجبرتي [ ١١١٧ — ١٢٣٧ هـ —  
١٧٥٤ — ١٨٢٢ م ] — الذي دار بين الوالي التركي على مصر

• أحمد باشا " المعروف : " بكور وزير " - وبين شيخ الأزهر  
 الشيخ عبد الله الشبراوي [ ١٠٩٢ - ١١٧٠ هـ - ، ١٦٨١ -  
 ١٧٥٧ م ] ومعه نخبة من وجوه شيوخ الأزهر - ما يفضح عن  
 حال الأزهر وتخلفه عن أغلب العلوم الضرورية للعصر ..  
 لقد تكلم الوالى مع هؤلاء الشيوخ فى الرياضيات ،  
 فأخبروا ، وقالوا : " لا نعرف هذه العلوم " .. !

ثم دار بينه وبين الشيخ الشبراوي هذا الحوار :  
 - الوالى : النعموع عندنا بالديار الرومية ( التركية ) أن  
 يصير منبع الفضائل والعلوم ، وكنت فى غاية الشوق إلى المجيء  
 إليها ، فلما جئتها وجدتها - كما قيل - : ( تسمع بالمعذى خير  
 من أن تراه ) .

- شيخ الأزهر : هى - يا مولانا - كما سمعتم ، معدن  
 العلوم والمعارف .

- الوالى : وأين هى ؟! وانتم أعظم علماءنا ، وقد آتاكم عن  
 مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا . وغاية تحصيلكم :  
 انثقة ، والمعقول ، والنوائل ، ونيفتم المقاصد !

شيخ الأزهر : نحن لسنا أعظم علمائنا ، وإنما نحن  
 المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام .  
 وغائب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر  
 الحاجة إلى علم الفرائض والموارث .

الوالى : وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة ، كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم والأضحية ، وغير ذلك ..

شيخ الأزهر : نعم ، معرفة ذلك من فروض الكفائية . إذا قام بها البعض سقط عن الباقين . وهذه العلوم تحتاج إلى نوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية ، كرقعة الطبيعة ، وحسن الوضع ، والخط ، والرسم والتشكيل ، والأمور العشاردية ، وأهل الأزهر بخلاف ذلك ، غالبهم فقراء ، وأخلاق مجتمعة من القوي والفقير ، فيندر فيهم القابلية لذلك .. " (١) .

هكذا تحدث شيخ الأزهر عن حال أئمة ، يوصفون بأنهم "أخلاق يندر فيهم القابلية لهذه العلوم" الضرورية لأي مجتمع من المجتمعات ! ..

— فلما جاء محمد علي باشا [ ١١٨٤ — ١٢٦٥ هـ . ١٧٧٠ — ١٨٤٩ م ] ليبتلى مصر الحديثة .. وقف شيخ الأزهر دون أن يمتد التحديد والإصلاح إلى داخل هذا الجامع العتيق والعتيق .. فتزكك عجمه على كما هو .. وألغى التعليم المنلى .. وأرسل البعثات العلمية إلى

---

(١) الجبرتي [ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ] المجلد الأول ص ٢٧٦ . طبعة دار فؤاد — بيروت ١٩٠٢ . د . حسام الدين الشاذلي [ رقعة رافع العشاردي ] ص ٩ — ١١ . طبعة القاهرة ١٩٧٠ م .

أوروبا .. واستفاد في ذلك من نهضة طلاب الأزهر وخريجيه .. ولكن دون أن تستد يد الإصلاح والتجديد إلى مناهج هذا الأزهر الشريف . .

— فلما جاء الشيخ محمد عبده .. وجاهد كي يدخل العلوم المنهية الضرورية إلى مناهج التعليم بالأزهر — بما فيها الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا — التي سماها ، من باب الترغيب ، « تقويم البلدان » ! وقف المشايخ لدعوته بالمرصاد .. حتى غضب .. وأصيب بالإحباط .. فاستقال من المجلس الأعلى للأزهر .. يل ومن منصب الإفتاء .. ومات كعاداً — في ٨ جمادى أول ١٣٢٣ هـ — ١١ يوليو ١٩٠٥ م ..

نعم .. لقد ظل حال الأزهر هكذا حتى ذلك التاريخ .. وبشهادة الشيخ المراغي ١٩٢٥ م .

١ .. فمنذ أربعين عاماً اشك الجدول عمود تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر . وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين . ومنذ أربعين عاماً قرأنا أحد شعورنا كتاب البداية — في الفلسفة — في داره ، على شرط أن نكلم الأمر ، لئلا ينهض الناس ويشهدوا بالتأخر والتخلف (١) .

— راجد حاول الشيخ محمد رشيد رضا [ ١٢٨٢ — ١٣٥٤ هـ ] .  
١٨٦٥ — ١٩٣٥ م ] أن يغري بعد زغلول باشا [ ١٢٧٣ — ١٣٥٦ هـ ،  
١٨٥٧ — ١٩٢٧ م ] وهو تلميذ محمد عبده — باقتحام هذا الميدان الشائك .

---

(١) [ السار ] ج ٢ ص ٣٥ من ١٣٩ — ج ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ —



لتنفيذ مشروع استأناده في إصلاح الأزهر .. ولكن سعد زغلول - وهو زعيم الأمة - أثر السلامة ، مخالفة الإمام مع الجود والتفكير السليم على هذه المؤسسة العريقة .. وقال للشيخ رشيد :

- لا ، لا ، لا ، إذا كان شيخنا - [ الأستاذ الإمام ] - لم يقدر

على إصلاح الأزهر ، فماذا عسى أن أفعل أنا ؟

- فقال له الشيخ رشيد : إنني سمعتك مرارا تقول : إنه لا

يرجى نهوض المسلمين إلا بإصلاح ديني - وفقاً لما كان يقول -

شيخنا الأستاذ الإمام ، وأستاذ الجميع حكيمنا السيد جمال الدين -

وتستدل على ذلك - كما كنا يستدلان - بأن أوروبا لم تتمكن من

النهوض المدني العلمي إلا بعد القيام بالإصلاح الديني . الذي دعوا

إليه ' لوثر ' [ ١٤٧٣ - ١٥٤٦ م ] وأقرانه ، إذ ما دام المسمنون

يفهمون الإسلام فهما خرافيا ، أو يلبسونه كالغزير مقتوبا - كما قال

سيدنا عنى كرم الله وجهه - فلا يرجى أن يصلح لهم شأن في علم

ولا عمل .

- فقال سعد باشا : نعم ، لا أزال أرى هذا ، فالتزقي المدني

مع المحافظة على الإسلام يتوقف على الإصلاح الديني الذي تترك

به الخرافات والأوهام .. الخ .

- فقال الشيخ رشيد : إن لا بد أن تعمل في سبيل هذا

الإصلاح شيئا . ونريد الأزهر و [ المنار ] ، فإذا كنت قد بنيت من

الأزهر فلماذا لا تساعده [ المنار ] وتشره في مدارس الحكومة ؟

— فقال سعد : الحق معك في [ المنار ] !... (١) .

فبعد زغلول — الذي أنشأ مدرسة القضاء الشرعي ١٩٠٧ م. فحقق حلم أستاذه محمد عبده ، لكن خارج مؤسسة الأزهر ! أثر السلامة بالابتعاد عن اقتحام هذا الميدان .. ومن قبله كان ما لاقاه محمد عبده من الصدد على تحقيق الإصلاح في هذا المعهد العتيق .. ومن قبلهما كان موقف محمد علي باشا ، الذي بنى مصر الحديثة .. مع إيثار السلامة بالابتعاد عن اقتحام ميدان الإصلاح للأزهر الشريف ! ..

— لكن .. شاء الله أن يتولى الشيخ المراغي مشيخة الأزهر في ٢ ذي الحجة ١٣٤٦ هـ — ٢٢ مايو ١٩٢٨ م .. أي بعد أقل من عام على وفاة سعد زغلول .. فكان الفارس الذي قاد مسيرة الإصلاح لهذا المعهد العتيق .. والذي واجه — بشجاعة وإصرار — كل التحديات التي وضعت في طريق هذا الإصلاح .. فأنشأ اللجان لدراسة واقع الأزهر .. ولإقتراح سبل الإصلاح .. وأنشأ التنظيمات الجديدة ، التي تمتثل في كليات اللغة العربية .. والشريعة .. وأصول الدين .. وأنشأ التخصصات العنصرية داخل هذه الكليات .. وأنشأ الدراسات العليا لخريجي هذه الكليات .. وأعلن أن المقاصد من وراء إصلاح هذا المعهد العتيق هي :

- ١ — تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين .
- ٢ — إحياء التراث العلمي البعيد الذي خلقه لنا كبار علماء المسلمين .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٧ ، مجلد ٢٩ ، ص ٥٣٩ — عنه ٢٩ جباد أول ١٣٤٧ هـ —

— ١٢ نوفمبر ١٩٢٨ م .

٣- عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً في ضوء نقيض  
خالف من الغواشي المشوّهة لجماله .

٤- العمل على إزالة الفوارق المذهبية أو تصحيح ثقافة الخلاف بينها .  
والمراد هنا التنظيم للتعليم الجامعي الأزهرى ، ثم تنظيم التعليم فى  
الجامعى ، المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية ..

وفوق ذلك - ومعه - تم التطوير للمناهج الدراسية ، على النحو  
الذى تجمع فيه بين الأصالة والتجديد ..

- كذلك تم إنشاء ' لجنة الفتوى بالأزهر ' من اثني عشر عالماً من  
 كبار العلماء - فى ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ - ١١ أغسطس ١٩٣٥ م ..  
 وتم إنشاء " قسم الوعظ والإرشاد " بالأزهر - ١٩٢٨ م .. وأعيد تنظيم  
 ' هيئة كبار العلماء ' .. وتم إنشاء " مراقبة البحوث الثقافية الإسلامية " -  
 فى شعبان ١٣٦٤هـ - يوليو ١٩٤٥ م .

- ولقد كان واضحاً - ومعلناً - أن هذا الإصلاح للأزهر وتعاليمه  
الدينى إنما يبتغى الإصلاح الإسلامى على النطاق العالمى .. وذلك  
إنطلاقاً من عالمية الإسلام .. ووحدة الأمة الإسلامية .. والمكتبة التاريخية  
للأزهر فى هذه العالمية .. ودور مصر - بك الأزهر - فى المحيط  
الإسلامى الكبير ..

ولقد أشار هذا المشروع الإصلاحى للأزهر إلى هذه المقاصد العالمية  
فى رسالة هذا المعهد الجديد .. فقال :

' إن لدى الأمة قضايا كثيرة معقدة فى حاجة إلى الدرس والبحث ،  
وفى مقدمتها :

- ١- قضية الرجوع إلى كتاب الله وخلة رسوله وأعمال الراسخين .
  - ٢- قضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب وأخرجته العقول .
  - ٣- حماية انديين من العدوان ، والدعوة إليه كأمر الله .
  - ٤- قضية نظام الأمم الإسلامية وارتباط بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر .
  - ٥- قضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتبوير أمورهم بحيث تخفف عنهم أعباء الحياة .
  - ٦- مقومات الأمم الإسلامية التي يجب أن يحافظ عليها ..
- \* والناظر في هذه " المذكرة " التي كتبها الشيخ المراغي - منهاجا لإصلاح الأزهر - يترك أن هذا الإصلاح - ينظر - إما كان السبيل لتحقيق عالمية الإسلام ، بتحقيق العالمية للجامعة الإسلامية الأولى ، إصلاحيا كي تكون جديرة بتحقيق هذه الرسالة العالمية للإسلام .. ولذلك ، تحدثت هذه " المذكرة " عن أن :
- " في الدين الإسلامي عبادات وعقائد وأخلاق وفقه في نظم الأسرة وفقه في المعاملات ، مثل البيع والرهن ، وفقه في الجنايات . وقد عرض الدين الإسلامي لغيره من الأديان ، وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان . وأشار إلى بعض الأمور الكونية في النظام الشمسي والموايد الثلاثة ، من جماء ونبات وحيوان .

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السماوية السابقة .  
وهوجم من أتباع الديانات السابقة . وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من  
أهل القانون .

ولهذا كانت مهمة العلماء شاقة جدا ، تتطلب معلومات كثيرة :-

— تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها .

— ومعرفة ما في الأديان السابقة .

— ومعرفة ما يجد في الحياة من معارف وآراء :

— ومعرفة طرق البحث النظري وطرق الإقناع .

— وتتطلب فهم الإسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحا .

— وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها .

— وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ

التشريع وأطواره .

— وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

— يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة

جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلب اللغة العربية فقهها وآدابها من

المعاني ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ، وأن يتعد في تفسيرهما

عن كل ما أظهر العلم بطلانه ، وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية .

— يجب أن تهذب العقائد والمعاملات وتنقى مما جد فيها وابتدع ،

وأن تهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة .

— يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم التمسك بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة ، والأحكام المجمع عليها ، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة ، كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

— يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما هو موجود فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ، ليظهر للناس يسره وقديسيته وامتيازاه عن غيره في مواطن الاختلاف .

— ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرقة وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها .

— يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها ، وعلى المسائل العلمية في النظام الشمسي والموايد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت إلى ذلك .

— يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طرق التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة في عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة عند علماء التربية .



— يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين . لأن رسالة النبي ﷺ عامة ، ودبله عام ، يجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة . (١)

بكذا حدد الشيخ المراغي معالم المنهاج الإصلاحى للأزهر الشريف .. حدد المقاصد والوسائل .. انطلاقاً من حقيقة رسالة هذا المعهد العتيق . النابعة من عالمية الإسلام الحنيف .. وأكد على ضرورة أن يجمع هذا الإصلاح بين الأصالة وبين التجديد ، إن فى العلوم والمعارف أو فى سبل التأليف والتكريس .. بحيث تتخطى الدراسة فى الأزهر ، ركائز عصور التراجع الحضارى والفكرى لتتجمع بين إبداعات عصور الازدهار الأولى للحضارة الإسلامية وإبداعات الإحياء والتجديد فى نهضتنا الحديثة .. وبعبارة : " يجب أن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة فى عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة عند علماء الشريعة " ..

\*\*\*

ولأن الطريق ... ١٩٣٥ د ... لم يكن معدداً أمام التوسيع المراسى لتطبيق هذا المشروع الإصلاحى للأزهر الشريف .. وبسبب من العقبات ،

---

(١) انظر الفصل القليل لهذه المسطرة فى [ المنار ] ج ٥ مجلد ٢٦ من ٢٢٥ — ٢٣٥ — عند ٣٠ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ — ١٤ سبتمبر ١٩٢٨ م — ولقد نشرت — كذلك — فى [ الأهرام ] فى ٥ ، ٧ أغسطس ١٩٢٨ — انظرها فى ملحق هذه الدراسة

— من خارج الأزهر ومن داخله — اضطر الشيخ إلى الاستقالة في ٦ جماد أول ١٣٤٨ هـ — ١٠ أكتوبر ١٩٢٩ م ..

لكن طلاب الأزهر — وعلماء التيار التجديدي فيه — انخرطوا — لعدة سنوات — في المظاهرات والإضرابات والاعتصامات — حتى سميت الثورة الأزهرية الكبرى .. وتعرض الأزهر أياها إلى قمع الحكومات المستبدة — مثل حكومة إسماعيل صدقي باشا [ ١٢٩٢ — ١٣٦٩ هـ — ١٨٧٥ — ١٩٥٠ م ] — التي فصلت العديد من علماء الأزهر وطلابه .. حتى اضطرت هذه الحكومات — في النهاية — إلى التراجع لهذه " الثورة " فعاد الشيخ المراغي ثانية إلى مشيخة الأزهر ظافرا ومنتصرا — في ٢٣ محرم ١٣٥٤ هـ — ٢٧ أبريل ١٩٣٥ م .. فشرع في تنفيذ مشروعه الإصلاحى ، الذى تخطى به الأزهر أضيق القرون ، ليصبح حاضرا ومؤثرا في مجتمع القرن العشرين ..

لقد حقق الشيخ المراغى أغلب المقاصد التى تحدث عنها " مذكرته " لإصلاح الأزهر .. فى التجهيزات .. وفى مناهج التدريس .. وفى الإفتتاح على تراث عصر الاندلس لخسارة الإسلام .. والاستفادة من ثمرات التجديد فى العصر الحديث ..

كذلك سمن بقاء الأزهر مستقلا عن التبعية للنحلة السياسية للدولة .. وأيضا استعاد لأزهر كثيرا من الاختصاصات التى سبق وبيسأتها منه " الدولة " .. فدعم ذلك من استقلال هذا المعهد العتيق ..

ولأن الشيخ المراعى كان واحداً من عظماء العلماء فى القرن العشرين ، لم نسه نشره انصر عندما عاد إلى المشيخة ١٩٢٥ م ، ذكر فضل أستاذة الشيخ محمد عبده ، إمام الدعوة إلى إصلاح الأزهر فى العصر الحديث .. فقال الشيخ المراعى فى الخطاب الذى ألقاه فى الاحتفال بعونه إلى المشيخة :

.. ومن الحق ، أيها السادة . علينا ألا ننسى فى هذه المناسبة . والحديث حديث الأزهريين ذلك الكوكب الذى انبثق منه النور الذى نهذى به فى حياة الأزهر العامة ، ويهتدى به علماء الأقطار الإسلامية فى فهم روح الإسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذى نشر الحياة العلمية والنشاط الفكرى ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم . وعينه الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا بينان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق ، ذلك الرجل الذى لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قبره إلا بعد أن أمعن فى التاريخ ، ذلك هو الأستاذ الإمام ( محمد عبده ) قدس الله روحه وطيّب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة .

ومن الوفاء ، بعد مضى هذه السنين ، ونحن نتحدث عن الأزهر ، أن نجعل لتكراد المكان الأول فى هذا الحفل ، فهو مشرق النور ،

وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التى تنجأ إليها إذا اشتدت  
الظلمة ، والدوحة المباركة التى نأوى إلى ظلها إذا قوى لفتح الهجير (١) .

هكذا تحدث الشيخ العظيم — محمد مصطفى المراغى — فى لحظة  
الانصراف — عن أستاذه العظيم الشيخ محمد عبده .. وعن ريادة زميلان  
إصلاح الأزهر .. والإصلاح الإسلامى على امتداد عالم الإسلام وإصلاح  
إياه بأنه : " الكوكب الذى ينبثق منه النور الذى يهتدى به فى حياة الأزهر  
العامة . ويهتدى به علماء الأقطار الإسلامية فى فهم روح الإسلام  
ويعاليمه " ..

وبهذا القس من الخلق العظيم استطاعت عبقرية الشيخ المراغى أن  
تتجز — فى إصلاح الأزهر الشريف — ما عجز عنه الكثيرون — من  
السابقين واللاحقين ! — .

---

(٢) [ المنار ] ج ٢٠ المجلد ٣٥ ص ١٣٩ — عند ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ —  
٣٠ يوليو ١٩٣٥ م — وانظر خطاب الشيخ المراغى كاملاً فى ملحق هذه الدراسة ...

## عالمية الإصلاح الديني

ولأن القرآن الكريم قد دعا جميع المؤمنين بجميع الشرائع السماوية إلى الاجتماع على سواء : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (١) .

لأن رسول الإسلام وخاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ قد صور أهل هذه الشرائع في سورة الأخوة المحذرين من لب واحد - هو دين الله الواحد - ومن أمهات متعدداً - لتبايز الشرائع التبتلية في إطار الدين الواحد - فقال : [ الأنبياء أولاد علأت . أمهاتهم شتى ودينهم واحد ] (٢) .

لهذه الحقائق الإسلامية - في الإخاء الديني .. والزمالة الإنسانية بين المتدينين بالديانات السماوية طمحت مدرسة الإحياء والمجدد إلى مسد أواصر الإخاء الديني والزمالة الإنسانية والعالمية إلى ما وراء حدود مذاهب الإسلام .. فتحدث رائد هذه المدرسة جمال الدين الأفغاني عن اتفاق الديانات السماوية في السبأ والعلية .. وعن أن رجال هذه الأديان .

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد .

المستأجرين بها ، هم الذين حالوا بين أهل هذه الأديان وبين التفارب  
والالتقاء .. فقال :

إن الأديان الثلاثة : الموسوية ، والعيسوية ، والمحمدية ، على أتم  
الاتفاق في العبداء والغاية ، وإذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير  
المطلق استكملته الثانية .

وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير ، أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل  
مثما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها ، وأن بهذا الاتحاد  
يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة .

ولكن ، لما علمت أن دون اتحاد أهل الأديان الشبهات العميقة ،  
وأولئك المراوغة الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة " حاتوت " . وكل طائفة  
كمنجم من مناجم الذهب والفضة ، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه  
من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية ، على حد قول الشاعر :

قد يفتح المرء حائلوتا لمتجره

وقد فتحت لك الحاتوت في الدين

صيرت دينك شاهينا تصيد به

وليس تغلج أصحاب الشواهين

علمت أن أي رجل يجسر على مقاومة التفرقة وليلد الاختلاف ،  
وإنارة أفكار الخلق ، بتزوم الائتلاف ، رجم عا إلى أصول الدين الحق .  
فقاله الرجل هو هو يكون عندهم قاطع أرواق المتجربين في الدين .



وهو هو في عرفهم : الكافر ، الجاحد ، المارق ، المخردق ، المبهرق ،  
المنرق .. إلخ .. إلخ <sup>(١)</sup> .

وعلى هذا الدرب ، شارك الإمام محمد عبده — في بيروت إبان مفاه  
في تأسيس جمعية "للتأليف والتقريب بين الأديان السماوية الثلاثة" ، وإزالة  
التفائق بين أهلها ، والتعاون على إزالة ضغط أوروبا عن الشرقيين ،  
ولا سيما المسلمين منهم . وتعريف الأفرنج بحقيقة الإسلام <sup>(٢)</sup> .

وكانت هذه الجمعية — السرية — تنطلق من "الجاسع الإبراهيمي"  
لهذه الديانات الثلاث .. ومن التوحيد في الألوهية .. ومن رفض عبادة  
القدوس والأجبار والزهيان .. ومن منطلومة القيم والأخلاق التي تنفق فيها  
وعليها هذه الديانات " <sup>(٣)</sup> .

" فلما جاء الشيخ المزاغبي — أوجب تلاميذ هذه المدرسة الإحيائية  
الإصلاحية — وحمل راية الإصلاح الديني في القرن العشرين ، امتدت  
الأفاق بجهوده الإصلاحية إلى هذا الميدان .. ميدان الرمالة  
الإنسانية وضرورة تعاون رجالات هذه الديانات على ما فيه مصلحة  
المتكئين بها " .

---

(١) الألفاني [الأصوال الكاملة] ج ١ ، ص ٧٠ ، دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة ،  
طبعة بيروت ، سنة ١٩٧٩ م .

(٢) رشيد رضا [تاريخ الأئمة الإمام] ج ١ ، ص ٨١٩ ، ٨٢٠ — طبعة  
القاهرة ١٩٣١ م .

(٣) المصدر السابق . ج ١ ، ص ٨٢٠ — ٨٢٩ .

فإن مشيخته للأزهر ، دعى الأزهر إلى حضور مؤتمر " تاريخ الأيمان الدولي السادس " المنعقد بمدينة " بروكسيل " فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥م - جمادى الثانية ١٣٥٤هـ . قبل الأزهر الدعوة ، وأوفد إلى المؤتمر كلا من الشيخ / مصطفى عبد الرازق [ ١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ - ١٨٨٥ - ١٩٤٦م ] والشيخ أمين الخولى [ ١٣١٣ - ١٣٨٥هـ - ١٨٩٥ - ١٩٦٦م ] الذى قدم إلى المؤتمر بحثاً نفسياً وفريذاً عن " صلة الإسلام بإصلاح المسيحية " . وبعد عودته من المؤتمر ، كتب الشيخ المراغى لهذا البحث تقديماً علمياً ضافياً ، وطبع سنة ١٩٣٩م (١) .

وفى العام التالى دعى الشيخ المراغى لحضور هذا المؤتمر - فى دورته السابعة ، المنعقدة " بلندن " فى ١٣ ربيع ثانى ١٣٥٥هـ - ٣ يونيو ١٩٣٦م (٢) . ولما حلت مسأله - فى مجلة الأزهر - بينه وبين السفر لحضور المؤتمر كتب بحثاً عن " الزمالة الإنسانية والأخوة العالمية بين أهل الديانات السماوية " ، وعهد بإلقائه فى المؤتمر إلى أخيه - الأستاذ / عبد العزيز المراغى - الذى كان يدرس دراسته العليا يومئذ فى لندن -

---

(١) انظر الطبعة الجديده لهذا البحث - فى سلسلة التتوير الإسلامى " دار نيضة مصر - ٢٠٠٦م .

(٢) وحرصاً من الشيخ المراغى على التواصل مع الدائرة الإنسانية والعالمية ، أوفد الشيخ / محمود شلوت إلى مؤتمر القائلون الدولي المقام ، فى دورته الثانية - المنعقدة بلاماى فى جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦هـ - أغسطس ١٩٣٧م - حيث قدم دراسة عن " المسئولية المدنية والبطنية فى الشريعة الإسلامية " . انظر كتابا ( من أعلام الإحياء الإسلامى ) ص ١٦٥ ، ١٦٦ - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٧م .

فترجم بحث الشيخ المراغي إلى عدد من اللغات الحية .. وألقى في المؤتمر ..

وفي هذا " البحث - الوثيقة " طرح الشيخ المراغي رؤيته لتبني الأخاء الديني والزراعة الإنسانية والعالمية .. مؤكداً على أن نقطة البدء في هذا الطريق هي اجتماع رجالات هذه الأديان على هذا الإخاء ، ووضعها على الممارسة والتطبيق ، ثم دعوة أتباعهم إلى السير على هذا الطريق .  
ونحن عندما نقرأ - اليوم - هذا " البحث - الوثيقة " نجد أنفسنا أمام :  
- نص يتم عن فيلسوف ديني - اجتماعي .

- نص يحكم ، يحار المرء ماذا يقبض منه ؟ وماذا يدع ؟ ...  
- نص يؤكد على أن الزمالة العالمية هي فطرة إنسانية .. وعلى أن عوامل التفريق هي عوائق حيوانية ..

سـ وينبه على أن التكوين هو الدواء الناجح لهذا التفريق ..  
- وعلى أن المأمول ليس " المثالية الطوباوية " وإنما الإصلاح الواقعي الذي " يلطف " الأجواء ، و " يقلل " الشرور " ، ويحقق " التقارب " بين الأنتظار ، و " يدنى " من الإخاء الإنساني ..

- ويحدث أن نقطة البدء هي اجتماع رجال الدين على تحقيق الزمالة

بينهم ..

- كما ينبه على خطر وأهمية " المتقين المستبشرين " الذين استبدلوا العلم والفلسفة بالدين .. وضرورة العمل على كسبهم للشعور الديني ، لأنهم أقدر على فهم ما في الأديان من معاني روحية سامية .

- ويؤكد على أن العقل هو موضع الشرف ، وموطن العزة والكرامة .

- وعلى أن الإيمان لا يحل في القلب بالإكراه .
- وعلى أن العلم لا ينال إلا بالدليل .
- وعلى خطر الشهوات الجامحة ، والإباحية التي يكن منها العقلاء .
- وعلى خطأ استعارة أسماء كاذبة من مثل مصطلحات " المذنية "
- و " النظام " و " الجزية " ، لإضغاثها على الشرور التي تغمر العالم .
- ويقول في هذا النص : " لقد أصابت أهل الأديان عوامل التقريق ، وأغرتهم زخارف الحياة الدنيا .. وحافظوا على الجاه والرتب .. وافتروا بعضهم على بعض في الدين " .
- ثم يستدرك قائلاً : " لكن قبيحا من النور لا يزال ياقظا للمعتقين " .
- وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم في هذه الشرور " .
- إنه نص فريد في فلسفة الإصلاح الديني العالمي .. فيه تشخيص للحالة الدينية في العالم
- عوامل الصحة فيها .
- عوامل المرض .
- وبرنامج لتحقيق المقاصد والأغراض .. أغراض الزمالة الإنتمائية العالمية بين أهل الأديان .
- لا يقف هذا البحث الفريد عند تشخيص الحالة الدينية ، وتحديد المقاصد من الإخاء الديني .. وإنما يحدد الوسائل الفعالة لهذه المقاصد والأهداف .

\*\*\*

وإذا نحن شئنا - في هذه الدراسة - إشارات شاهدة من هذا الشخص المتميز من نصوص " فلسفة الإصلاح الديني العالمي " . إلى هذه المعلم التي أشرنا إليها . فيكفي أن نقول إنه :

١- قد عرض للواقع التاريخي للصراعات التي عرقها تاريخ الأديان ، فقال :

" إن الإنسانية تطوف بخيالها ذكريات من جلاء قاسر مظيف ، أثار رجاء الخلاف الديني . وإن الإنسانية لترنو في خيبة إلى آلاف من الأجيال المتدفقة لم تدلها كثيراً من تلك الأخوة الإنسانية .. لكن التكين ، مع ذلك كله يعوده أمه القوى ؛ ويشرك أن تلك الذكريات المروعة . وذلك العبد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص في طبيعة التكن أحدث ذلك كله ، بل إن ذلك في الحق إنما سببه غلبة واقعية الحياة على مثالية التكن . فتحكمت الحياة في التكن ، حيث كان ينبغي أن يحكم التكن في الحياة .

إن سائل الإنسانية في عصور التكن من شر ، وما فعل بها من بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي . ليس شئ في طبيعة التكن ، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني .

وهذا هو الرقي العقلي والنفسي قد حسم فعلاً غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية ، ووجه الشعور الديني توجيهاً أصلياً نوعاً ما كان قديماً . ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان . وسحولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية " .

٢- ثم تحدث الشيخ المراغي عن العلاج القرآني لهذا الواقع التاريخي .. العلاج الذي يؤكد على وحدة الأصل الإنساني .. فقال :

”لقد نبيه القرآن إلى وحدة الأيوبيين الموجبة لتعارفهم والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التباكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزناً لتصرف السوء وكرم الجبر ، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله ، وفي القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس إنما خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١) .

— وطلب القرآن إلى المسلمين إحصان معاشره غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان ، وفي القرآن الكريم : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢) .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله وسلامه عليه وخلفاؤه الراشدون بعده على وفق هذه المبادئ السامية ، حتى أبيض الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

٣— ثم طالب الشيخ السراغي بأن تكون نقطة البدء هي تحقيق رسالة رجال الدين ، وذلك :

(١) الحمرات : ١٣ .

(٢) المحرقة : ٥ - ٦ .



‘ بالدعوة إلى تنمية الشعور الدينى المشترك ، وقبلها تنمية الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، منهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعنوية السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذى يدهم الإنسانية لا يجرى من أديان المخالفين ، وإنما يجرى من الإلحاد ومن المذاهب التى تفسد المادة وتعيدها ، وتستعين بتعاليم الأديان وتعدها هزواً ولعباً ’ .

٤- ثم رسم معالم المقاصد والأغراض المتبعة .. فقسمها إلى معنوية .. وعملية .. فالأغراض المعنوية هى فى الإجمال : إزاحة الغلث التى حالت دون تأثير الشعور الدينى فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تلوثه بالشوائب المفرقة ، وإما تضعفه وتحلله .

ومن هذه العوامل : ضعف الإيمان .. وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التى تسمى منقذة ويذعوها الناس سقفة ، وسبب ذلك اضطراب الدين بالعلم التجريبي ، وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء فى الخير والفضائل العنيفة ، وفقت بعض الأديان فى سبيل المواقفة عليها . أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواح لم يوافق الدين على ترسيمها .

ومن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الدينى ، وإعادة تعمير القلوب ويملأ النفوس هبة ورحمة من الله ، ورحمة ورفقاً بعبادة الله . وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية ، وأمام تيارات التقدم العقلى والتحرر الفكرى . ولا شك فى أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان فى الحياة

الإنسانية من خطر هؤلاء المستبشرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقمي في فيهم الرغبات غير التثريفة .

ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم : فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائل الإخاء البشري ، ذلك بقوة إلهاسهم ودقة إدراكهم ، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معاني روحية سامية ، مجردة من المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتتر طرقهم الفلنفة .

أما الأعراض العلمية ، فهي على الإجمال : جعل الشدين أداة فعالة في تذيب الجماعة ، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان ، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية ، وتبصير الفضائل العلمية التي تدعو إليها الأديان كلها نظما عليية ...

— ثم أشار الشيخ المراغي — في بحثه هذا — إلى الوسائل الكثيرة بتحقيق هذه المقاصد والأعراض وهي :

أ — إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحكام .. وذلك عن طريق :

١ — ترجيع الوعظ الديني إلى الاتجاه الإنساني .

٢ — وجمع ما في كل دين من المعاني الإنسانية .. وإذاعتها وتعميمها بمختلف اللغات .

٣ — وجعل الدعاية للأديان قائمة على أساس عقلي محصن .

ب — إيجاد هيئة لنقوية الشعور الديني ، وبخاصة في الطبقات

المستنيرة .. تعنى بتأييد مركز الشدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر

تأييداً يقوم على احترام العقل .. وإعطائه حقه الكامل في التبحر والتزهد  
التماساً للمعرفة .. مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل .. وعن  
الارتكاز إلى السلطة الروحية المستبدة .  
ويكون لهذه الهيئة شعب ثلاث :

١- شعبة لتحديد ما بين العلم التجريبي والدين من  
علاقات ومشكلات .

٢- وشعبة للأراء الخلقية والفضائل .

٣- وشعبة لتتبع الدراسات الاجتماعية - كالانثراكية والسيروية -  
لتبين مواطن الخير والحق فيها ، ومواطن البؤس والرخلة انهمزة المقدسة  
لشرف الغرض من الحياة .

ج - العمل على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة  
للأديان .

- فيقاوم الزنا .

- وتحمي الأسرة .

- ويعاقب الكذب والخيانة والفساد والوفعية ، ولو لم تصور

في جرائم مادية .

- وتحدد الحرية في التمتع وأسباب الشهوات .

- وتحرم المنافسة غير الشريفة .

- وتراقب المكاسب المادية ، ويحرم الخبيث منها .

- ويعاقب على الجشع والخداع والتغريز .. إلى غير ذلك مما جاءت

الأديان لاستبصال ضروره وتطهير الإنسانية من أدرانها .

جـ - العمل لتأكيد الوحدة الدينية فـولاً وعملاً ، وإقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية ولا إلى سيطرة الحكم والجاء والنفوذ .. وأنهم قوام على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة إليه ..

هـ - ويجب ألا نقسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول السياسة والإصطدام بها ، وأن تعتمد على تأكيد الجماعات وتنمية الشعور الديني والشعور بالفضيلة .

و - ثم يتجلى الشيخ المراعي إلى تقرير : أن في أصول الإسلام أقوى الدعائم التي ترتكز عليها هذه الأفكار .

- فهو يقرر أنه « لا إكراه في الدين » <sup>(١)</sup> . ويقول للمرسول - صلوات الله وسلامه عليه - : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » <sup>(٢)</sup> .

- ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » <sup>(٣)</sup> .  
- ويخاطب العقل وينته إلى التفكير فيما خلق الله .  
ويرفع العلم والعلماء .

- ويقول نبي الإسلام : [ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ] <sup>(٤)</sup> .

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) يونس : ٩٩ .

(٣) النحل : ١٢٥ .

(٤) رواه مالك في الموطأ .

ويقول الله تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » (١) .

- ويحث على البر والرحمة ، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء ، بل وعلى الرفق بالبهائم ، حتى جعل نفقة النسيئة الضالة واجبة فى بيت المال .. وجعل للفقراء حقاً لازماً مفروضاً فى أموال الأغنياء ..
- وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الإنسانية كلها .
- ووضع قواعد صارمة للعنف بالنظام .

\* \* \*

هكذا تنفخت العبقرية الدينية .. والفلسفة .. والاجتماعية لهذا المصلح النبى العظيم ، لتشيخ مصطفى المراغى — عن هذا البحث الثمين فى الزمالة الإسلامية والعالمية . لتحقيق الإخاء الدينى بين بحالات الأديان .. وتحقيق التعارف والتعاون بين المؤمنين بهذه الأديان .. وإعلاء هذه الأديان إلى مكانتها فى هداية الإنسان وفضيلة المجتمعات الإنسانية على طريق الحق والخير والرخاء (٢) .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) انظر جميع ما أشرنا إليه فى نص بحث الشيخ المراغى عن : [ الزمالة الإسلامية ] ، يسلحق هذه الدراسة .

## ملحق وثائقي

- ١- إصلاح الأزهر الشريف : مذكرة الأستاذ الأكبر الشيخ / محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر .
- ٢- خطبة الأستاذ الأكبر الشيخ / محمد مصطفى المراغي في حفل تكريمه عند عودته لمشيخة الأزهر في ١٩٣٥م .
- ٣- رسالة الزمالة الإنسانية : البحث الذي بعث به الأستاذ الأكبر الشيخ / محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر - إلى المؤتمر العالمي للأديان - بلندن - سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .



# إصلاح الأزهر الشريف

## مذكرة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي

### شيخ الأزهر<sup>(١)</sup>.

أوجب الدين الإسلامي على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »<sup>(٢)</sup> ، وأوجب الله على نبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة إليه « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »<sup>(٣)</sup> . وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعي إلى نشر الدين وإفناء العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزاعات الإلحاد وشبه المضللين .

وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تحت على النظر في الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع ، وقد لفت النظر إلى ما في العالم المسمى من جمال بآهر وصنع محكم ، ولفت النظر إلى ما في الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والإعمال التي لها غايات محدودة ، وأشار إلى الأولين - وحث القرآن على العلم ، وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح ، وسير العلماء لا تدع شبهة في أن الدين الإسلامي يطلب من أهله السعي إلى معرفة كل شيء في الحياة .

(١) (الشار) ج ٥ مجلد ٢٩ من ٣٢٥ - ٣٢٥ - ٣٠ ربيع الأول ١٣٤٧ هـ - ٤ سبتمبر ١٩٢٨ م.

(٢) التوبة ١٢٢

(٣) التحل : ١٢٥

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله ، فخلقوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات في جميع فروع العلم ، ودرسوا أصول المذاهب في العالم ودرسوا الديانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا في زمنهم ، وكتبوا المقالات في الرد على جميع الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة في البحث . وكان الاجتهاد غاية يسعى إليها كل مشغول بالعلم متفرغ له .

ولكن العلماء في القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة وظنوا أنه لا مطمع لهم في الاجتهاد فافقروا آيوايه ورسوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وانعدوا عن الناس فجعلوا الحياة وجيلهم الناس ، وجعلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديثة . وجعلوا ما حدث في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فاعرض الناس عليم ونقصوا هم على الناس فلم يزدوا الواجب الذي خصصوا العلوم له وأصبح الإسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين .

في الدين الإسلامي عبادات وعقائد وأخلاق ، وفقه في نظام الأسرة ، وفقه في المعاملات ، مثل البيع والزمن وفقه في الجنايات ،

وقد عرض الدين الإسلامي لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان ، وأشار إلى بعض الأمور التكوينية في النظام الشمسي والموايد الثلاثة من جماد ونيات وحيوان .

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة . هوجم من أشياح الأديان السابقة ، وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون .

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جداً تتطلب معلومات كثيرة : تتطلب معرفة المذاهب قديماً وحديثاً ، ومعرفة ما في الأديان السابقة ومعرفه ما يحدث في الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظري وطرق الإقناع ، وتتطلب فهم الإسلام نفسه من بدايعه الأولى فهما صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفقها وأدبها وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع .

والأمة المصرية أمة دينها الإسلام فيجب عليها وهي تجاهر بذلك أن ترفق تعليمه ليرقى حملته ويكونوا حفاظاً ومرشدين يدعون الناس إليه .

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لإصلاح أخلاق الجماهير فإن العامة تنقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الألوأب جذاب إلى الفضيلة بعمله وبحسن بصره في تكييف القول في مواضعه .

ولذلك كان الدعاة إلى الفضيلة قديماً وحديثاً يلجأون إلى الأديان يتخذونها وسائل للإصلاح ، بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وحملته السيوف لم يحدوا ندا من الرجوع إلى الأديان وصيغ دعواتهم بها ، كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تكمن النوع من أنواع الإصلاح (لا إذا صيغ بصيغة دينية يكون قوامها الإيمان .

والأمة المصرية ، بل والأمم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والتجاعة والصبر والإقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات فلم

بعد الفرد يشعر بالام الآخرين ومصائبهم ، وقد أثرت الحياة الفردية فى حياة الجماعة أثرها الفاسد فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل .

وقد أرى أن الأمة المصرية وهى تريد النهوض والمجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية يجب عليها أن تتذكر دينها وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شأنهم وترقى تعليمهم ، وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والى يجب أن يكون عليها حملة الدين .

أما إهمال هذه الناحية والسعى إلى ترقية النواحي الأخرى من حياة الأمة فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المقصود ، فالخلق هو العمود الفقرى للأمم لا يمكنها أن تعيش بغيره ، وأسهل طريق تكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته .

وقد كان الأزهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية وقد أصابه ما أصاب غيره فى الشرق من خمول وضعفه فيجب على الأمة المصرية وهى تحمل راية الأمم الإسلامية أن تنقى هذا الصباح ( الأزهر ) من الأكتار وأن توجد له جهازاً قريباً يستمد نوره منه على طريقة تناسب مع ما جد فى العالم من أطوار فى العلم وفى التفكير وفى الحوار والتخاطب وفى طرق الاستدلال والبحث . والشئلة تتفق على الأزهر قدراً عظيماً من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه ، ولا تستطيع أيضاً أن تلغى الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى ، فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتفل نزاعاً ولا جدلاً .

وإنني أقرر مع الأسف أن كل الجهود التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر أن يغير التعليم في المعاهد وأن تكون الخطوة إلى هذا جريئة بقصد بيا وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة .

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهموا على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقيها وأدبيا من المعاني وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يتعدى في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية .

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتتقى مما جد فيها وابتدع ، وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الإسلام الصحيحة .

يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب . وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأئمة ، وأن تكون العالية من هذه الدراسة عدم المسالين بالأحكام المنصوص عنها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعبور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء...

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ليظهر للناس يسره وقنسه وإستباراه عن

غيره في مواطن الاختلاف ، ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفروعها  
وأسباب التفرق . وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب  
حدوثها .

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها وكل  
المسائل العنصرية في النظام الشمسي ، و التواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم  
القرآن في الآيات التي أشارت إلى ذلك .

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف ، وأن  
يضاف إلى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات  
والأدب .

يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على  
طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة  
( في علوم الإسلام الزاهرة ) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء  
التربية ، وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الشيء وكل ما هو قضي  
فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدثت بالاجتياز  
بحث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق  
لمصلحة الغناء .

يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين لأن رسالة النبي ﷺ عامة  
ودينه عام ، ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة  
المختلفة ، وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة للتفويض منه والابتعاد عنه كما  
فعلت بعض الأمم الإسلامية . وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ  
تركزت الفقه الإسلامي لأنها وحدته بحالته التي أوصلته إليها العلماء غير

ملائم . ولو أن الأمة العصرية وجدت من الفناء من جاري الأحوال الزمان  
وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والحرج لما تركته إلى غيره  
لأنه يرتكن إلى الدين الذى هو عزيز عليها .

ولست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيابها دراسة شاقة تحتاج  
إلى مجهود عظيم وتحتاج إلى رجال قد لا نلهم فى طائفة العلماء .  
وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون ، ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل  
كل عفة تقف فى طريقه وتوجب علينا الشفاء والقتل لأننا نريد إصلاح  
أعز شيء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تكوين لهذه الأمة  
ونبهوضيا .

وليس من السهل أن يكلف شخص واحد بهذه الدراسة على اختلاف  
أنواعها . بل من الواجب أن يفكر فى طريقة التقسيم وجعل الدراسة أقساما  
وأنواعا متميزة .

وبعد هذا استطيع أن أضع أسسا إجمالية للنظام الذى أبغى أن يكون  
عليه الأثر والسعادة الدنيوية :

أ- يجب أن يقسم التعليم الدنى إلى قسمين : قسم يحدد عدد تلاميذه  
وترتيب درجات التعليم فيه وتبين نهم حقوقهم والواجبات التى تسلك حسبهم  
والأعمال التى تسند إليهم من أعمال الدولة . وهذا هو القسم الذى سيكون  
موضوع العناية ومكان الرجاء والأمل ، وقسم لا يحدد عدده ولا ترتيب  
درجات التعليم فيه ولا يكون له شيء من الحقوق فى أعمال الدولة ، وإنما  
الغاية من وجوده هى سد حاجة من يريد التفقه فى دينه ومعرفة اللغة  
العربية ليخرج من الجهالة إلى نور العلم ويقنع بالعلم نفسه . وتوضع لهذا



القسم تنظم لا يقصد منها أكثر من مراقبة الأخلاق ومن تعليم أفراد تعليمها صحيحا بعيدا عن العقائد الفاسدة موصلا إلى روح الدين موصلا إلى خلق قويم ، والقسم الأول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثا فيكون ثلاثة أقسام :

١- القسم الأولي منه خمس سنوات .

٢- " " " " الثاني " " " " .

٣- " " " " العالي " " " " .

والتعليم في القسمين الأولي والثاني يكون عاما على مثال التعليم في المدارس الأميرية ويعلم فيهما كل ما يعلم في المدارس الأميرية مما عدا اللغات ، وتعلم فيهما علوم الأزهر الأصلية بالقدر المؤهل لدخول الأقسام العالية تعليمها لا يكون قوامه حفظ الدروس ، وإنما يكون قوامه فهم العلم وفهمان على البحث والتدليل وتربية الملكات . وقد يلاحظ أن السنة لا تحتل تعليم علوم الأزهر وتعليم ما يدرس في المدارس الأميرية ، ولكن هذه الملاحظة تزول إذا لوحظ أن الطالب في المعاهد يزخر في سن عالية عن من التثنية في المدارس الأميرية . ويغلب أن يكون ألم بكثير من المعلومات في المدارس الأولية ، وأن يكون حافظا للقرآن باستعداده وسنه يسمح بأن يحتل هذا المقدار الذي يراك أن يعلمه على أن الشروط التي توضع لقبول التلاميذ في القسم الأولي كغلبة بالإعداد مسن لا يقوى على احتمال هذه الدراسة . ويقسم التعليم العالم إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم اللغة العربية .

٢- قسم الفقه .

٣- قسم الإرشاد والدعوة .

ويجب أن يلاحظ أني حيث أعرض لهذه الأقسام وحيث أبين ما يدرس فيها فأنى أضع رسماً إجمالياً قابلاً للتبويب وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت التفصيل فتؤلف له لجان فنية .

أما القسم الأول فيدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضوح وعلوم البلاغة وأشب اللغة العربية وتاريخ الآداب وعلوم النفس والتربية ، ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التي لها اتصال وثيق باللغة العربية ، ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما . ومن حيث اتصالهما بأدبيهما .

وأما القسم الثاني فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة ، وبخاصة من ناحية الأحكام الفقهية . ويدرس أصول الفقه ، وتقارن المذاهب الإسلامية بعضها ببعض مع عرض الأدلة ، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة . ومن جهة الفصالح العامة ، وتقارن المذاهب الإسلامية بالفواعد العامة في أصول القوانين ويدرس تاريخ التشريع الإسلامي وما يلزم للقاضي والمحامي من نظم القضاء والإدارة وقوانين المرافعات .

وأما القسم الثالث فيدرس فيه المنطق والتوحيد الإسلامي والأخلاق والفلسفة فديسيا وحديثها ، وتاريخ الأديان والمذاهب مع مقارنتها بالدين الإسلامي . ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة وبخاصة من ناحية طرق الهداية والإرشاد .

بعد ذلك أنتقل إلى الغاية من هذا التعليم النظامي ، وسأجد نفسي مضطراً إلى شيء من الإطالة في القول : —

عندما فكرت الحكومة المصرية في إنشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أئمة اللغة العربية في المدارس الأميرية كان العلماء في الأزهر لا يعنون إلا بدراسة الفوائد وفلسفيتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الألفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ، ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !! يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة في تلك الأيام بعيدة كل البعد عن اللغة ، ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ولا تزال منهم بقية إلى اليوم . وكان العلماء أيضاً لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة كالناريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أئمة المحافظة ولا يرون الخير إلا فيما هم فيه ، فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء في المدارس الأميرية على النحو الحديث .

وعندما فكرت الحكومة في إنشاء مدرسة القضاء الشرعي كان الأزهر على النحو الذي وصفته ، وكان فيهم علماء يحرمون تقويم البلدان والناريخ والحساب ، ويكتبون مقالات في الجرائد ضد هذه العلوم ، وكان ولاة الأمور يتكلمون من أن القضاة لا يعرفون الأرقام ولا يعرفون طرق التوثيق ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب أن يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس . وقد بدل الله هذه الأحوال وأصبح قائلون الأزهر مستغنى على ضعف العلوم التي كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعي ، وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ويدرس فيه الجبر والهندسة ، وقبل الأزهر في قسم تخصص القضاء الشرعي درساً في وظائف

الأعضاء ودروساً في التثريب . قبل الأزهريين كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التي كانت من قبل واثم بقي الإصلاح بطرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعاً صحيحاً . وإذا كانت هناك بقية تعترض الحدوث فبقى لها من الشان ما يستلعب معه أن تكون عقبة في طريق الإصلاح .

في الدولة الآن مدارس متعددة بنوع واحد من التعليم : فيها دار العلوم لتعليم اللغة ، وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة ، فيها مدرسة الشرعي للفقه ونظم القضاء ، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء ، وفيها تجهيزية دار العلوم . وفي الأزهر أقسام تسائلها .

تتفق الدولة على هذه المدارس جميعها ، ومن الممكن أن تقتصد في هذه النفقات ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض وتوحيدها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة .

في الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا في مدارس مختلفة يحد بعضهم بعضاً ويقم بعضهم على بعض . ولذا أثره في إفساد الأخلاق .

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير في توحيد الجيود وتوحيد النفقات ونجعل قسم اللغة منبع علماء اللغة العربية لجميع مدارس النوبة والأزهر . وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء فتكون بنوعها للقضاة والمحامين والمفتين وتلغي تجهيزية دار العلوم والقضاء .

أول ما يعترضنا في هذا أن مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة إليها وقد حققت الأمل فيها فأخرجت للدولة علماء أحبوا اللغة العربية وأدبها بعد أن كادت تدرس وكانوا من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها إلى

الناس بينما الأزهر ضعف التعليم فيه وأصبح محلاً لشكوى الأمة وشكوى أهل أنفسهم ، وليس من الحكمة بناء على الآمال في الأزهر أن تميمت مدرسة محققة الفائدة ، وكذلك الحال في مدرسة القضاء .

ولكننا على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتي : قد كان الأزهر منفصلاً عن الحكومة في الماضي انفصالاً تاماً فلم تكن له بها علاقة إلا ببلغ يسير في الرزنامة كان حقاً له عليها ولم يكن للحكومة إشراف عليه ، وقد تبدل الحال فصارت ميزانية الأزهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية وبعضها من وزارة الأوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الإشراف عليه ، وصار مسئولاً عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الأمة والحكومة أن تعرف فيم تتفق الأموال وبأي شيء تشتغل المعاهد وعلى أي نحو تسير .

ثم أن النماذج دار العلوم والقضاء سيفتحى حتماً إلى إدخال أستاذة ومدرسين في الأزهر وإلى وجود الصلة الثابتة بينهم وبين العلماء فهذه الصلة التي من شأنها أن توجد تماس الأفكار ستنتج نتائجاً حسنة في إحسان الدراسة وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم في مجالس الإدارة والمجلس الأعلى ، وفي التدريس على المعاهد . وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التي تضمن النفس إلى أن المعاهد لا ترجع إلى القفري .

هذا الذي قلناه مضافاً إلى توحيد التعليم وتوحيد النفقات وتجانس العلماء في الدولة من شأنه أن يحمينا على المعنى في هذا الطريق .

وتختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكثافة لا بدلى من التصريح بها : لست أرجو للقضاء الشرعى خيراً من هذه المدرسة على نظامها الحديث وقد كان نظامها منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٢ خيراً من هذا النظام الجديد .

ذلك أننا حتى اليوم ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المؤلفة فى القرون الماضية وهى كتب معتدة لى طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من من يعرف اللغة العربية وإنما يفهمها من سارسها ومرت على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها ، وأيضاً فإن العلوم الشرعية التى يحتاج إليها القاضى متسلكة يستمد بعضها من بعض ، ولا غنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه ، ونظام المدرسة الجديد قطع المسألة أو أضاعها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة ، فالتلاميذ الذين يتخرجون من التحضيرية وينقلون إلى مدرسة القضاء ليس لهم من المؤهلات ما يعدم لنقيم تلك الكتب وإلى ههنا تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرنامج .

ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة ( بل وأرجو من الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها ) وإنما أدافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده فمن فى حاجة إلى رسل بين القديم والحديث ، وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث لنخرجوا للناس حديثاً جيداً فلابد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ومعرفتها تلك الطرائق القديمة ، وفيهم من القوة ما يستطيعون معها تصوير

ذلك في أسلوب حديث . ولذلك فإنه يجب أن يراعى في النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية في البحث وفهم الكتب .

أما المدرسة — على نظامها — منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٣ فإنها تسمي القراء ولا أحد ما أعيها به . ولكن استطاع القول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بأشرافه وحسن الإدارة يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم .

وقد أثير في تقرير لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٤ إلى شيء من السقارة بين القضاة فريحي الأزهر والقضاة فريحي المدرسة . ويعتبر الرجوع إليه لأنه يفيد فيما نحن بصدده .

وخلاصة ما أسلفته أن تتدمج تجهيزية دار العلوم والقضاء ومدرسة دار العلوم في المعاهد . على أن توضع قواعد وفنية لهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها المتوخدة فيها الآن .

أما امتيازاتهم فهي كما يأتي : —

علماء اللغة يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد الدينية وفي جميع مدارس الحكومة ومجالس المديرية .

علماء الفقه يكونون أساتذة العلوم الشرعية في الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة .

وعلماء فريضة القضاة يكونون قضاة وسجاسين ومفتين وأساتذة أيضا .

وعلماء الإرشاد والذخيرة يكونون أساتذة في الأزهر والمعاهد ويكونون خطباء وأئمة ووعاظا ومرشدين .



لما تهافت القسم الأولي فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثاني ، وأما شهادة القسم الثاني فتوكل صاحبها للإقسام العالية وتزوله لوظائف الكتابة في المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية . وقد ينظر بعد في علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية إذا أراد واحد من حاملي شهادتها دخول الجامعة المصرية في بعض أقسامها .

وقد يصح أن يقال : لنوع دار العلوم ومدرسة القضاء تطبيقان في طريقهما للمصلح الأزهر على هذا النحو الذي أشير إليه وليس هناك ضرر في وجود مدارس متعددة سالحة غير أن ما أثرت إليه بالنسبة لمدرسته القضاء يجعلنا على عدم السكوت على نظامها الحاضر ، وما أثرت إليه بالنسبة للغة العظيمة التي نشدها من توحيد التعليم وتجنيس العلماء ، ومن الفائدة التي تعود على المعاهد نفسها من إدخال العناصر القوية في اللغة العربية وهم علماء دار العلوم إلى الأزهر يجعلنا نقبل طريق التوحيد على طريق التعدد .

وهناك أمر لا يصح الإغضاء عنه . ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتمييزية دار العلوم مؤثر في الأزهر والمعاهد من حيث الرغبة فيها لأن نتيجة الأزهر ( إذا لم يخرج قضاء ومحامين وعلماء لغة عربية في مدارس الحكومة ) تقتصر على إخراج علماء المعاهد ومخطيء للسمات وهي نتيجة غير مرغوبة ، ومن شأنها أن تجعل التعليم في المعاهد مقصورا على بعض الطبقات التي ليس لها في الحياة آمال سامية . وهذه الطبقات وهذا قد لا تؤس على هذه الودعة ، ودعوة الخلق الديني والثقافة

الإسلامية . ومن الواجب أن لا يغيب عنا ونحن نتقدم لتتطلب التعليم الدينى وتقويم أخلاق الأمة أن نشجع الطوائف الراقية على الدخول فى هذه الساعات لتقوم بما يطلب منها من العناية بالأخلاق .

وامر آخر وهو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الأقطار الأخرى فى سمعة الأزهر والمعاهد . ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم وأن تسرد إليه مجده فإنه واسطة اتصال وثيق بين الأمة المصرية وغيرها من الأمم . وإذا أحسن استخدام هذه الوساطة عادت بفائدة أنبية ذات قيمة على الشعب المصرى .

وستى تم تنظيم الأزهر وتأخذ مكانته فتستود إليه ثقة الأمم الإسلامية وتطلب منه علماء ومرشدين خصوصاً إذا عنت فيه اللغات التى يحتاج إليها المرشد إذا ذهب إلى بلد من البلاد الإسلامية .

هذا هو سجل رأى فى إصلاح المعاهد والتعليم الدينى أقدمه خليفته من القنصل حتى إذا ما صادف قبحاً لا وافق على النقط الأساسية فيه أمكن أن نشرع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع ولعل بعد ذلك أن نرجع إلى القوانين لإصلاحها .

وقبل أن أختتم كلمتى هذه أشير إلى أن من الممكن إيجاد كل الخدمات لحسن سير التعليم وذلك بتأليف مجالس الإدارة ومجلس الأزهر الأعلى على وجه تمثل فيه وزارة المعارف ممثلاً قوياً وبأن يكون قسم التقنين على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشملاً على رجال يكون لوزارة

المعارف رأى في اختيارهم ، بل ويمكن أيضًا أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

ولابد أيضًا من أن أصرح بأن الأزهر لا ينبغي أن يعنى بإعراج معلمين للمدارس الأولية ، وسنتظر في إنهاء الدراسة الخاصة بالتعليم الأولى .

كما أنه لا بد لي أيضًا من الإشارة إلى وجوب إلغاء قانون التخصص فقد دلت التجارب على عقم نتائجه ، ولذلك أسباب كثيرة قد يحسن عدم الإقضاء بها ، وأيضًا فإن النظام الذي أشرت إليه هو نظام تقسيم الدراسة العالية سيضمن تخريج علماء نهم تفوق في علوم الأقسام التي يدخلونها .

## خطبة الأستاذ الأكبر في حفلة تكريمه (١).

حضرات السادة الأعزاء . .

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في  
نفوسكم ، وألكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم وكرسهم ، وعائلته  
الحب النياض البادية في قولهم وفعلهم ، في شعرهم ونثرهم ، ولحضرات  
المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل  
عطفهم وحبهم .

ويسهل على قبول هذه المنن كثرة واحتمالها إذا أنتم لي في صرف  
هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف ، واعتبارها كثرة موجهة إلى  
الأزهر الشريف ، الذي تجلونه جميعاً وتعترفون له بحق شيخ المعاهد  
الإسلامية في مصر وغيرها من البلاد .

ولئن دل هذا الاجتماع بالهدف الأول على غرض التكريم فقد دل  
بالإشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم .

دل على أن الأزهر خرج عن عزلته اتنى طال أمدها ، ونهض  
بشارك الأمة في الحياة العامة وملاساتها ، وعزم على الاتصال بها ليفرد

---

(١) [ المنار ] ج ٢ ، مجلد ٣٥ ، ص ١٢٨ ، ١٤٧ - عند ٢٩ ربيع الآخر ١٣٥٤ هـ

٣٠ يوليو ١٩٣٥ م .

ويستفيد ، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن  
تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن قس الحياة معارف غير  
معروفة ، القيمة يجب أن تدرس وتعرف ، وطرائق في التعليم يجب أن  
تحتذى وتتهادى بها . ومنذ أربعين سنة انتك الجدل حول جواز تعليم  
الحساب والهندسة والتاريخ في الأزهر وهو فائدة تعليمها لعلماء الدين ،  
ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره  
على شرط أن نكتب الأمر لثلاثينم الناس وينهوننا بالزيع والزندقه ،  
والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس المال  
والنحل ، وتدارس الديانات وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية .

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث  
الأزهر والأزهريين ذلك الكوكب الذي أبتلق منه النور الذي نتهدى به في  
حياة الأزهر العامة ويهتدى به علماء الأقطار الإسلامية في فهم روح  
الإسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ،  
ووضع الملجح الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعهد الطريق لتتوق —  
العربية ومجالها ، وهماج بالناس بذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبينان على  
العلم والتقوى ومكارم الأخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد  
أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الأستاذ  
الإمام ( محمد عبده ) قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته  
ثلاثون حوالاً كاملة ، ومن الرفاه بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن

الأزهر أن نحصل نذكره المكان الأول في هذا الحقل ، فهو مشرق الشرق  
وباعت الحياة ، وعين الماء الصافية التي تلجأ إليها إذا كنت نظماً ،  
والدوحة المباركة التي تدأوى إلى ظلها إذا قوى لفح الجحير .

الأزهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين  
الإسلامي الذي أوجد أمما من العدم ، وخلق تحت لوائه مدينة فاضلة ،  
وكان له هذا الأثر الضخم في الأرض ، فهو يوحى بطبعة إلى شيوخه  
وأبنائه وأجيال إنسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية ، يعتنون  
مقتصرين اتين أمام الله ، وأمام الناس إذ هم تهافتوا في أدائها ، وإنهم  
لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم وسعدهم وأنفسهم إلا إذا فهموا  
هذا الدين حق قيمه ، وأجادوا معرفة لغته ، وفهموا روح الاجتماع ،  
واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحنثين فيما ترض الحاجة إليه مما  
هو متصل بالدين ، أصوله وفروعه ، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم  
من الاتصال بأراء العلماء والإستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة  
الإسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود  
توافر عليه وإلى التساند الشام بين العلماء والطلبة والفقهاء على التعليم .  
ويحتاج إلى العزم ، والتصميم على طي مراحل السير في هذه ونظام  
وجد ، وصدق نية ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا  
حب الله ، وحب رسوله .

والمسلمين في الأزهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها :

**أولاً -** تعليم الأمم الإسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى قيم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الإسلامي وتاريخ الإسلام ورجاله ، وقد كثرت نطع هذه الأمم إلى الأزهر في هذه الأيام وراك قاصده منها أفراداً وجماعات ، وإنك طابها تعناء الأزهر برحطون إليها لأداء أمانة الدين وهي بيانه ونشره .

**ثانياً :** إثارة كتور العلم التي خلفها علماء الإسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية ، وهي مجموعة متربط بعضها ببعض وتاريخياً متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كتحقيقاً فتحوا عنها وبدلوا جهوداً عظيمة . وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على أن بعضها متصل بالأخر كما هو الحال في دراسة الأزهر ، فإذا وفق الله أهل الأزهر إلى التحقيق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة ، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأنظروا طرق العرض الحديثة - أكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضاً صحيحاً صادقاً بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإن ذلك يكون دور أداء اتصال جيدة بين الحاضر والماضي ، ويطلعون العالم على ما يبهز الأنظار من آثار الأقدمين وأعتقد أن التعليم الأزهرى على النحو الذي أشرته إليه هو الذي يرجى لتحقيق الأمل وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله .

**ثالثاً -** عرض الإسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً قلى ثوب نقى خال مما أدخل عليه وزيد فيه ، ومن الفروض المتكفلة التي يأبأها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .



رابعاً : العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تصنيف تفة الخلافات  
 بينها ، فإن الأئمة في سحنة من هذا التفوق ومن العصبية لهذه الطريقة ،  
 ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف وعزلتها دراسة  
 بعيدة عن التعصب المذهبي يبدى إلى الحق في أكثر الأوقات ، وأن بعض  
 هذه المذاهب والأراء قد أحدثتها الشيعة في القرون الماضية لمناصرتها ،  
 ونشأت أهلها وخالقت فيهم تعصباً يساير التعصب السياسي ، ثم انفردت  
 تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الأراء الشيعة لا ترتكز إلا على  
 ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها ، وهذه المذاهب فرقست الأئمة التي  
 وحدها القرآن وجعلتها شيعاً في الأصول والفروع ، ونشج عن ذلك التفوق  
 حقد وبغضاء يلسان ثوب الدين ، ونشج عنه سخط مثل ما يقال في فروع  
 الفقه الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنته الحنفى ، ومثل ما يرى في  
 مساجد من تعدد صلاة الجمعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في  
 التوسل والوسيلة ، وعذابات المسلمين وطول اللجى ، حتى أن بعض الطوائف  
 لا تستحى اليوم من ترك مساجد جمعة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد  
 خاصة .

من الخير والحق أن نتدارك هذا ، وأن يعنى العلماء بدراسة انقراض  
 الكريم والسنة الحظير : دراسة عبرة وتقدير ، لما فيها من هداية ودعوة إلى  
 الوحدة ، دراسة من شأنها أن تقوى الرابطة بين العبد وربيه ، وتجعل  
 المؤمن ركب الصراط هاتفاً بالحق ، مستعداً لقبوله ، عاطفاً على أخواته  
 في الإنسانية ، كارهها للبغضاء والشحناء بين المسلمين .

قد أنهم بأنى تخيلات قحلت ، ولا أتألى بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود ، ولفت النظر إليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاسعة ، وما ذلك على الله بعزيز .

الآن وقد أوضحت بالتفريب أسأل المسلمين في الأزهر « تزور أليها السادة أن العداء ، الملقى على عاتق الأزهر ليس حين الحمل ، فإله في حاجة إلى تعاون الصائق من كل من يقدر على التعاون إما بالمال أو العقل ، أو بالمعارف والتجارب ، وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هذه الآمال ، حين إذا أنت الجهود بهذه الثمرات الطيبة المباركة .

# المؤتمر العالمي للأديان في لندن

## رسالة لحضرة صاحب الفضيلة

### الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

### شيخ الجامع الأزهر

[ يقام كل سنة مؤتمر عالمي للأديان فى عاصمة من كبريات  
عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب  
لحسم مادة الخلافات بينها تدعى لإبطال الحروب والمخاصمات ، وقد  
دعا المؤتمر فى هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر  
الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لإنشاء خطابة فيه  
فى موضوع كيف تنقصر زمالة عالمية بين الأفراد المختلفى الأديان  
والنحل . وقد أجاب فضيلته الدعوة فأرسل للمؤتمر ببحث طريف جامع  
فى هذا الباب ، وأجاب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى  
شقيقه فى إلفاته ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ، فقبل  
المؤتمر عذره ، وقابل خطبته بما هى أهل له من الإطراء والإنكار .  
وها هو نص تلك الخطبة : ] <sup>(١)</sup> .

---

(١) مجلة [ الأزهر ] ج ٥ مجلد ٧ - ج ٥ مجلد ١ الأولى ١٣٥٥ هـ .

## كلمة التحية للمؤتمر :

١ - تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة الفاضلين بأسره ، وكنت شديد الرغبة في شهوده وفي لقاء حضرات السادة ممثلي الأديان والمذاهب ، لكن أجياباً قوية حالت دون بلوغي هذه الأمنية ، فبعثت بكلمتي هذه وأنت عنى فى إقانيها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلدى . وأتسارع منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والإحلال ، وأصدق الأمنيات لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون إليه .

## فكرة الزمالة الطبيعية :

٢ - إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات الساذجة ، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة فى أشكالها البسيطة . ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشملت القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العلمية فى البشرية كلها بمارس من العوائل ، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومعنوية وعلمية وروحية لا تنفصل بيا أمة ، بل تحتاج إلى مشاركة عامة . أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنسانى كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ نور

الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع  
مقاوَز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

### أسباب التفرق الطبيعية :

٢ - ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة ، ومع أن العقل  
يقضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائماً ملازمة لهذا الشعور .  
لأن الإنسان لا يسيرم العقل وحده ، ولكن تسيّره أيضاً غرائز حيوانية  
ركبت فيه . ومن هذه الغرائز حب الألفة والغيرة ، والخوف والشك ،  
وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر  
للتفرق ، حتى أنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنساني المنشود قد وقع  
كل تلك الشوازع في الإنسان ، يبدو له أنه مطلب لا ينال في هذه الحياة ،  
أذ بيوته ما يحكم فيها من ضرور تصرفها تصرفاً جبراً مبرماً لا قلب  
له ولا وجدان .

### التدين هو الدواء :

٣ - ولا اعتقد أن التقدم العلمي والفلسفي بقادر على التغلب على  
هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولاً ووحشية  
كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه لمعنى أسلحتها . بل في الحق إنني لا أعتقد  
أنه سيجى اليوم الذى تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن

يعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبغثة من قوى الطبيعة في الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار .

• - لكن هذه العقيدة لا يصح أن نتفقا عن البحث عن الوسائل المنطقة لتلك الغرائز والكابحة لجماعها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والمستين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجسوة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة تراقب النيات وتحكم الصنائع ، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسؤولية والسجادة ، ففي التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطراً ولا أضعف أثراً في دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور . والدافعة إلى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعة الإنسانية .

وليس من شك في أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الإنسان مطعناً راصياً إذا ساء حظه في الحياة الدنيا ، ويغير نظره إلى هذه الحياة تغييراً تاماً . ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزئيماً بميزان عادل هو سيران القادر الحكيم ، يحفز الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير ويبعد عنه عمل الشر .

٦ - يجب أن يكون المهيم على عمل الإنسان من داخل الإنسان ،

وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونهتوا الصمير الإنسانى بواسطة التثذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن ألى لهم ذلك ، وكيف استطاع تثذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجة إلى التقوى ؟ فالرجوع إلى غريزة التدين أسيل . وهذا الشعور التدينى إذا عمق وصلح أقوى - أو على الأقل ليس أضعف - من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاء والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يغلب الحق والحمد والأمانة ، وفيه من تطمين النفس ما يفل بطرها باللعن ، ويبون عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة ، ويكره إليها الجبل والحق . كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلاً لو لا طوارى أخرى . ومن هنا تقوى طماعية المتدين فى قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عز ذلك أو بعد . ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان .

٧ - نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاء قاس

مخيف ، أدار رخاء الخلاف الدينى ، وكان فيه الشعور الدينى الحاد الحاد فى طائفة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مروع . وإن الإنسانية لسررت فى خيبة إلى آلاف من الأجيال المتعدية لم تنهها كثيراً من تلك الأخوة الإنسانية ، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها ، تكن التدين مع ذلك



كله يعاوده أملة القوى ، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك التبعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين تنقص في طبيعة التدين أحدث ذلك كله . بل إن ذلك في الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين . فتحكمت الحياة في التدين . حين كان ينبغي أن يحكم التدين في الحياة ؛ وسببته محاولات أشخاص غافلين من الضمائر استغلوا الشعور الديني استغلالاً مادياً في سبيل مآرب لا تثير نفق مخزياتها ، وحسبنا أن نقول : إن ما نال الإنسانية في عصور التدين من شر ، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو في السلام الروحي ، ليس شىء في طبيعة التدين ، بل لانحراف في اتجاه الشعور الديني . على أن ناسوس التشريح الطبيعي يفسر هذا الذي كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقي الحياة فس تلك العهود ، وأن ما صارت وتصور إليه تلك الحياة من رقي ، يؤهلها للانفكاك بالشعور الديني في إنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده . وما هو ذا الرقي العقلي والنفسي قد حسم فعلاً غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية . ووجه الشعور الديني توجيهها أصح نوعاً مما كان قديماً . ومن آثار ذلك هذا التوتر للأديان . ومحاولة أهل الدين تسمية الزمالة العالمية .

٨ - وهذا ما جعل اغتباطي بهذا التوتر عظيماً ، فإنه فضلاً عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهي الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنساني وأمه ، فإنه بهذا السعي يحقق عرضاً أساسياً من الأغراض التي سمعت إليها الأديان وعلى بيا الإسلام الذي أدين به ، فقد نيه القرآن إلى وحدة الأيوين الموجبة للتعارف

والتعاون والتناصر ، والمباعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزناً لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله ، وفي القرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) . وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاملة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان ؛ وفي القرآن الكريم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (٢) .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادئ السامية ، حتى أصبح الإسهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

### الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية :

٩ - وإذا ما كانت تلك الزمالة أملاً مرجو التحقيق يتداعى لتفويضه رجال الدين ويحتفلون بذلك في جد وحزم ، فمن الحزم إذا أن نعود إلى هذا الشعور الديني نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته

(١) الحجرات : ١٣

(٢) المائدة : ٨٢

في البشرية ، نشأ منه خطتنا في تنمية الزمالة ، وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما في الأديان من الشعور الديني المشترك بينها ، وبما فيها من الفضائل العملية والغايات الاجتماعية الصالحة ، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها ، وكل ما في الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشري أسس صالحة ترمي إلى الخير ، وإلى أن يكون الفرد عضواً نافعا في المجتمع ، يعاشر أخاه بالمعروف ، ويتفقد عنه الفوائد ، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلحائية . مطلوبة لتخالف الحكيم الذي يحيى ويسيت ويررق ، ويعتق الملهوف والمضطرب ، وبعد بعد الموت حياة هنية لمن يعمل الصالحات .

والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يداهم الإنسانية لا يجي من أديان المخالفين ، وإنما يجي من الإلحاد ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعيدها ، وتستهيئ بتعاليم الأديان وتعددها هزواً ولعباً .

### الأغراض التي يسعى لها أهل الأديان :

١٠ - الأغراض التي أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية .

الأغراض المعنوية هي في الإجمال إزاحة الغسل التي هانت دون تأثير الشعور الديني في تقريب ما بين الناس . وهي إما تلوثه بالشوائب المفارقة ، وإما تضعفه وتحلله .

فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوي الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة ثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكراهة له والتربص به ، فهو في حاجة إلى توجيه إيمانه توجيهاً نافعاً ، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب ، وإلى فهم معنى الدين فيما صحيحاً خالياً من الأغراض البشرية المادية . ورجل ضعف إيمانه أو أفقر قلبه منه ، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التي تسمى مستقيمة ويدعوها الناس مثقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبي . وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى إزاء في الخير والفضائل العملية وفقت بعض الأديان في سبيل الموافقة عليها : أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواح لم يوافق الدين على ترسيمها . فكانت صلة العلم المادي والعمل الخلفي والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرمانه : وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سبباً في اتساع الهوة وجراة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الديني في قلوب أولئك المعلمين ، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الديني ، وإعادته يعمر القلوب ويملا النفوس هبة ورهبة من الله ، ورحمة ورفقاً بعباد الله ، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام

العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية ، وأمام تيارات التقسيم العقلي والتحرير الفكري ، ولا شك في أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقي الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستبشرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة . ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الديني في قلوبهم ، فإنهم يكونون قوة فعالة في تنمية وسائط الإخاء البشري ، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم ، واستطاعتهم فهم ما في الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتتر طريقهم الفلسفة .

الأغراض العملية هي على الإجمال جعل الدين أداة فعالة في تهذيب الجماعة ، وتمكين العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان ، من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية ، وتصيير الفضائل العملية التي تدعو إليها الأديان كلها نظاماً عملية . بذلك يقل تلك الشورور الإنسانية في الأمم ، وتتقارب أنظارتها ، وتكون من الإخاء الإنساني بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها .

١١ — وما يثير العجب ويضاعف الألم ، أن أهل الأديان يمشون جنودهم ويحنون عدوهم لشغلة بعضهم بعضاً مقاتلة أسرفوا فيها ، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك ، وسلكوا طرقاً في التناحر مغلفة لأبسط قواعد المنطق ، مما جعلهم مخزية أمام العلماء وأمام الفلاسفة ، وجعل كل جيودهم عقيدة النتائج ، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله

الذى هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة ، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل ، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول ، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه ، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ، ونسوا أن العدو جاء فى إنزالهم من مكانهم اللائق بهم ، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطغى على ما بقى فى النفوس من هبة واحترام للنظم الإلهية . وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على نزع الخطر ، وأن يجاربوا هذه الشهوات الجامحة ، وهذه الإباحية التى يلى منها العقلاء ، وهذه العادة المستحكمة التى تجر الولايات على الأمنيين بين حين وآخر ، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية .

لكن ما الذى كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل فى أهل الأديان كما تعمل فى غيرهم ، وتخربهم وتخارف الحياة الدنيا كما تخرب غيرهم ، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم ، ويفترى بعضهم على بعض فى الدين كما يفترى غيرهم .

نحن قسماً من النور لا يزال باقياً للمنتقين ، وهو أن الله أرحم بعباده من أن يتركهم فى هذه الشرور المتلاطمة أمواجها ، وأقدر على إيجاد الوسائل التى ترد الإنسان إلى مواطن الشرف والنميلة ، وأنتم مواطن الأمل ومعقد الرجاء .

## الوسائل التي تتحقق بها الأغراض :

١٢ - ومأعرض هنا لبعض الوسائل التي تساعد على تحقيق الغرض ، مكثفياً بالإجمال ، تاركاً التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر ، وللاستكرات المتجددة التي يتجها التعاون الصالح بين الأعضاء وبين محبي الإنسانية :

( أ ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ، ولذلك وسائل ، منها :

١ - توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني ، بالأساليب التي يقررها أهل كل دين لوعاظه .

٢ - جمع كل ما في دين من المعاني الإنسانية السامية العامة ، من الرفق بالبشر والبر بهم ، من حيث هم أفراد من نوع الإنسان ، دون نظر إلى الفوارق الأخرى ، وإداعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات .

٣ - جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائماً على أساس عقلي محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة في الوصول إليها ، مع البعد عن الاحتفال لذلك ، والاعتماد على وسائل غير بريئة في ترويج الاعتقاد والإغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاء حسماً شريفاً نزيهاً صادقاً الرغبة في المسالمة .



(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الدينى ، وبخاصة فى الطبقات المستنيرة ، فتعنى بتأييد مركز الشئيين أمام البحث العلمى والتفكير الحر ، تأييداً يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل فى البحث النزيه التماساً للمعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستبدة ، وبانجاسة يبتعد عن الأخطاء الماضية التى دفعت الإنسانية ثمنها باهظاً مرهقاً .

ويكون لهذه الهيئة شعب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبي والدين من خلاف قائم أو خلاف يحد ، وتتبع ذلك فى الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لصحة على أساس ما أُلْفاه من حب للحقيقة وحرص عليها ، فى لباقة لا تدع الدين يجبر بما يخالف المحسوس المشاهد . وشعبة تلتفتى بالأراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جائراً على الحياة المعنوية . مثلاً بأغراض نومة وسطامع شريفة ، فتبحث ذلك فى عمق ودقة ، ويذاع منه الأراء المقنعة التى تال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غلبتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذهبياً من غايات للحياة وأاليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق . وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة التهممة المفسدة لشرف الغرض من الحياة . كل ذلك يداع فى الأسلوب الصحيح ، ليمسح الناس الرأى الصالح مزيداً بالترهان ، مؤلفاً بينه وبين الدين ، مراعى فى كل هذا وجه الله ، ووجه الحق ، ووجه الخير للإنسانية .

١٣ — ونظراً لأن الإنسانية قد نالها عتف كثير نرى ( بحق أو بغير حق ) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظهر بالطائفة الكاملة من هذا الخلل لتدع للكون ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها . وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية أولاً وصلاً ، وأن تجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية ولا إلى سيطرة الحكم والجأه والنفوذ . وأنهم إنما يشاركون في الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعاد الإنسانية وترقيتها ، وصيانة معنوياتها العالمة شرفها ، وأنهم قوام على تفسير الناموس الإلهي بالحق والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء . ثم تحافظ على ذلك الشد المحافظة . وتقوم من يشذ عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذلك تستخدم الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني ، وتكتب المبادئ الدينية والتضال الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عليا تسكن من السعى إلى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة .

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم . يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة في الأديان ، فيقوم الزناً ، وتحمي الأسرة ، ويعاقب على الكذب والغيبة والتهميش والنس والوقعة ولو لم تصور في جرائم مادية ، وتخذ الجزية في التمتع وأسياب الشبوات ،

وتحرم المنافسة غير الشريفة ، وتراقب المكاسب المالية ، ويحرم التمييز  
منها ، ويعاقب على الجشع والخداع والتغريب ، إلى غير ذلك مما جاءت به  
الآديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه ، فداء للعالم  
وانحرقت وجية الكذابين أو ضعفت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين  
لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده .

١٤ - وما من شك في أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة  
ستتذكر على يد رجالها الذين يزين الإيمان قلوبهم ، وتطمس لغوهم  
روحانية الدين الصادقة ، وسائل ناضجة فعالة لهذه الأغراض ، ولكن  
يجب ألا ننسى أن تلك الوسائل ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل في أصول  
السياسة والاستخدام بها ، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور  
الذيني والشعور بالفضيلة ، وعلى إيماء روح الكرامة لما يقرر العالم  
الآن من الضاد والضرور التي نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحنى لا يفكر  
في غير قضاء الشهوات ومعالجة الغرائز البهيمية ، وإشباع نهم القوى  
الشريسة ، وصفات العدوان .

١٥ - ذلك ما رأيته لتسمية الزمالة العالمية ، وقد قام على أساس  
صحيحين ، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهي ممكنة وفعالة ، وإن  
كانت تحتاج إلى حذر واداب طويلين ، لكن المطلوب قليل والخطل جليل ،  
وإن الإسلام ليمنحها تأييده القوي .

وفي أصول الإسلام أقوى الدعام التي تركز عليها الفكرة ، فهو  
يقرر أنه لا إله إلا الله في الدين ، ويقول للرسول سنوات الله عليه : « أفأنت

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» <sup>(١)</sup> . ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » <sup>(٢)</sup> . ويخاطب العقل وبنه إلى التفكير فيما خلق الله ، ويرفع العلم والعلماء . ويقول نبي الإسلام : [ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ] ، ويقول له الله تعالى : « ولو كنت قظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » <sup>(٣)</sup> ، ويحث على البر والرحمة ، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء ، بل وعلى الرقي بالبهائم ، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة في بيت المال ، وجعل للفقراء حقاً لازماً مفروضاً في أموال الأغنياء ، وجعل الجناية على نفس واحدة جنائية على الإنسانية ، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام . ولا أطيل عليكم أيها السادة ، فليس من غرضي ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه ، ولكني بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه لا ينافي قواعد الإسلام العامة .

١٦ - وإني أيها السادة في ختام كلمتي هذه أبتهل إلى الله أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للإنسانية ، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل .

(١) يونس : ٩٩ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	١ - بطاقة حياة .....
١٩	٢ - فى الإصلاح القضائى والتشريعى . . .
٢٥	٣ - إصلاح الأزهر .....
٤١	٤ - عالمية الإصلاح الدينى .....
٥٤	- ملحق وثائقى .....
٥٥	- إصلاح الأزهر الشريف .....
٧٣	- خطبة الأستاذ الأكبر فى حفلة تكريمه .....
٧٩	- المؤتمر العالمى للأديان فى لندن .....

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



## يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأهم الكتب التي صدرت عن المجلس ومنها،

### أصناف حسب التراث الإسلامى

- |  |                                    |
|--|------------------------------------|
| سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - الأجزاء من ١٢، ١    | مختصر سيرة ابن هشام - الأجزاء ٢، ١ |
| صفوة السيرة النبوية لأبى كثير - الأجزاء من ٤، ١            | إخلاص النواصي - الأجزاء من ٤، ١    |
| بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز - الأجزاء من ٦، ١ | صحيح البخارى - الأجزاء من ١١، ١    |

### سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

- |                          |                         |                             |
|--------------------------|-------------------------|-----------------------------|
| الموسوعة القرآنية        | موسوعة علوم الحديث      | موسوعة اعلام الفكر الإسلامى |
| موسوعة الحضارة الإسلامية | موسوعة التشريع الإسلامى |                             |

### المصنف الشريف

- |   |  |
|---|--|
| المصنف الشريف طباعة ٢ لون بسملة ذهب           | المصنف العلم ٢٨ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصرى     |
| المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية | المصنف المرتل ٢٢ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصرى    |
| مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته           | المصنف الجود ٦٠ شريطاً للقراء عبد الباسط عبد الصمد |
| باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية       | مصطفى إسماعيل، محمود على البنا، محمود خليل الحصرى  |
| والروسية والألمانية والإندونيسية.             |  |

### هذه الكتب لصاحب الفوائد العداوى وصاحب المسقى في النظم الإسلامى

- |  |  |
|--|--|
| موسوعة الفقه الإسلامى - الأجزاء من ٢٩، ١   | حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين |
| الفتاوى الإسلامية مجلدة - الأجزاء من ٢٠، ١ | الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء |

ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام

### مراكز البيع

- |   |   |
|---|---|
| القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى                              | ٢ شارع الأمير قداوار المتفرع من ميدان التحرير |
| مكتبة مسجد النور بالعباسية  | ٢٦ شارع الجمهورية (شراطة القرآن الكريم)       |
| الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول |   |

### مواعيد العمل من ٩ صباحاً إلى ٢ ظهراً

وتيسيراً على القارئ المسلم ومشاركة في تزويد المكتبات الإسلامية بالطبوعات التي صدرت عن المجلس، تباع هذه الطبوعات بالعموم وبسعر تكافؤ القيمة، مع إجراء نسبة خصم البيع بالتقسيط إذا زاد هذه النسبة لزيادة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالاجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية

مطابع الأهرام التجارية - قليبوب - مصر

الشمس ١٠٠ قرش